



الدكتور مرعي مذكور

الإعلام الإسلامي

وخطه وفق الإعلام الدولي



الدكتور / مرعي مذكور
قسم الإعلام الإسلامي - جامعة الأزهر

الإعلام الإسلامي

وخطر التفكك الإعلامي الدولي



جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

[يَا بُنَيَّ ؛ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَمْسَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ
غَشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ ، يَا بُنَيَّ فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، فَمَنْ
عَمِلَ بِهَا فَقَدْ أَحْيَانِي ، وَمَنْ أَخْيَانَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ]

من وصايا الرسول ﷺ - لأنس رضي الله عنه ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

« تقديم »

نحمدك اللهم ونستعينك ونستهديك ونستفتح بالذي هو
خمر ؛ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

وبعد ..

يتعرض عالمنا الإسلامي هذا الأيام لموجات متعددة من
محاولات التشويه التي يشنها الغرب عبر وسائل اتصالية متعددة
من صحافة (جرائد ومجلات) وإذاعات علنية وأخرى سرية ،
وسينما ، وفيديو ، وأيضا - وهذا هو الأخطر - عبر التتابع
الصناعية للاتصال حيث أصبحت الثقافة الأليكترونية القادمة
من فضاء لا حدود له هي في حقيقتها ثقافة وحرية الدول التي
تملك التكنولوجيا .. وأصبح هذا التدفق الإعلامي الموجّه ،
والذي يلاحق المسلم في عقر داره ويتوسل إليه بلغته -
وبلهجته المحلية عند الضرورة - أصبح يمثل خطرا كبيرا يجب
التنبه له والوقوف في وجهه بتقديم البديل القائم على الحجة
والبرهان ..

فليس من الحكمة في شيء أن يقنع المسلمون بالبقاء في
مقاعد المستقبلين بالنسبة لمجال الاتصال ، والأخذ دون تمحيص
بما يتدفق علينا من هذا الانفجار الإعلامي الخفيف عبر الصحافة
الدولية . أو الإذاعة بأنواعها من علنية وسرية ودينية أو ماثية
وكالات الأنباء الكبرى التي فرضت سطوتها الإعلامية على
العالم كله لدرجة أن بعض الدول لا تعرف عن جيرانها - أو عن
أنفسها في أحيان كثيرة - إلا عن طريق هذه الوكالات
المهيمنة على سوق الاتصال .. ، هذا إلى جانب قوافل التصير
وموجات الاستشراق التي تستمر دائما تحت عباءة البحث
العلمي ، والمحاولات التي لا تهدأ لفصل الدين الإسلامي عن
أمر الحياة الدنيا بهدف سلب المسلمين قوتهم الذاتية المستمدة
من الإسلام وصدق الاعتقاد وعدم الخضوع إلا لله سبحانه
وتعالى ..

فأمتنا الإسلامية ؛ التي كرمها الله بهذا الدين الخفيف ؛
مطالبة بالإعلام عن الإسلام ونشره عن طريق « البلاغ المبين »
الذي يعطي القوة والاستبسال وتحمل الصعاب كافة من أجل
نشر الدين ..

فالأمة الإسلامية عندما تمتلك الصوت الإعلامي القادر على
مخاطبة العالم في صدق وأمانة لخير هذا العالم ؛ ستكون - الأمة
الإسلامية - قادرة وقتذاك على الإعلام عن دين الله وتوضيح
موقف الإسلام من المواقف الحياتية كافة ، وفي الجانب الآخر

ستدحض التشويه المتعمد لصورة المسلم والتي تشيعها الوسائل
الاتصالية العالمية ، وتصحيح الصورة لتظهر كما رسمها
الإسلام : عدل ؛ وصدق ؛ وأمانة ؛ ووفاء ؛ وإنسانية ؛ وفي
الوقت ذاته قوة في الحق ، حتى ترتفع راية « لا إله إلا الله ؛
محمد رسول الله » .

فالكلمة في الإسلام مسئولية كبرى ..

وعلى الله قصد السبيل ..

د / مرعى مدكور

المهرم في سبتمبر ١٩٨٧

الفصل الأول:

تدفق إعلامي دولي غير متوازن

أصبحت العلاقات الدولية هذه الأيام في أمس الحاجة إلى طريقة مثلى في التعامل ، بحيث يكون الوضوح والصدق والموضوعية أساسا راسخا للاتصال والإعلام كما هو الحال في الإعلام الإسلامى ..

وقد برزت هذه الحاجة إثر الهزة العنيفة التى أفقدت الثقة - داخليا وخارجيا - في مصداقية الاعلام الأمريكى بعد تكشف أسرار صفقة الأسلحة الأمريكية للنظام الإيراني ، رغم إعلان الولايات المتحدة المتكرر مناهضتها - ما أسمته - الإرهاب نتيجة للممارسات الإيرانية ، حيث اتضح أن الإعلام الأمريكى ما هو إلا دعاية تحركها اتجاهات وأهداف غير معلنة ..

فإعلام أكبر دولة في صناعة الاتصال يقول غير ما يظنه أصحاب القرار !!

.. فقد أوضحت جوانب الأزمة أن العلاقات الدولية - في أغلبها - تتجه السياسة المكيافيلية ؛ حيث الغاية تبرر الوسيلة ؛ وأن المهارة والمعرفة والأخذ بأساليب التكنولوجيا الحديثة في الاتصال لم تعد كافية للمساهمة في جعل العالم قرية عالمية Global Village كما كان يتوقع عالم الاتصال الكندي مارشال ماك لوهان Marchal McLuhan ، فالوسائل الاتصالية ذاتها (صحافة وإذاعة « راديو وتليفزيون » وأقمار صناعية وغيرها) أصبحت مجرد تكنولوجيا تكرر نفسها للتعبير عن

اتجاهات ومصالح سياسية متطابقة Identical من التحالفات
المتكاملة Complementary أو العقائدية Ideological
وغيرها^(١) وأصبحت - الوسائل الاتصالية - تعبر بطريقة
أو بأخرى عن هذه المصالح بسلاحين خطيرين هما : الكتمان
والصمت ؛ أو التشويه والخداع والكذب والمبالغة^(٢) .

.. من هنا بدأ البحث عن القيم كعنصر مفقود في العملية
الاتصالية حتى تُعبر الرسالة الإعلامية عن محتواها - وبصراحة
تامة - للجمهور الموجهة إليه ، واتجهت أنظار العاملين في
المجال الإعلامي إلى إعادة دراسة الاتصال الإسلامي بوجه عام
منذ أن بدأ الرسول ﷺ ينشر دعوته عندما أمره الله بذلك في
قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر *
والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾^(٣) حيث
إن هذا الاتصال الإسلامي منذ بدايته يقوم على أسس ثابتة
مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، كما أنه
واضح الأهداف والمقاصد لبناء الإنسان على هدى الإسلام
وتوصيل كلمة الحق إلى الناس أجمعين ، وكل ذلك في إطار من
القيم الأخلاقية والمبادئ والمثل العليا^(٤) ..

.. أزمة كبيرة من عدم الثقة تهدد الاتصال هذه الأيام ؛
رغم التقدم التكنولوجي المذهل في صناعة الوسائل
الاتصالية .. والسبب انهيار مصداقية هذه الوسائل ، والتي
تتكشف جرائمها الواحدة وراء أخرى ، مما جعل البعض يبحث

عن مخرج لذلك ، إلا أن هناك مكابرة في بحث أسس الاتصال وفق المعايير الإسلامية، إذ كيف يتم ذلك وهناك قوى متعددة تحاول جاهلة تشويه صورة الإسلام وإبعاده عن الحياة العامة !!

.. في الوقت الذي تنبارى فيه وسائل الاتصال العالمية بشكل عام - وفي أمريكا بشكل خاص - على اختلاق الصور الشائنة والصاقها بالعرب المسلم ؛ تتكشف الحقائق عن انعدام المصداقية Credibility لمحتوى ماتنقله هذه الوسائل حتى وإن كان - هذا المحتوى - صادرا عن جهة رسمية هي البيت الأبيض والرئيس الأمريكي نفسه ..

وإذا كانت قضية « ووترجيت » التي أسقطت الرئيس الأمريكي نيكسون قد أظهرت الصحافة هناك في صورة من الحرية الكاملة عندما استطاعت كاترين جراهام رئيسة تحرير صحيفة « الواشنطن بوست » قيادة الفريق الذي كشف أسرار الفضيحة التي أطاحت بريتشارد نيكسون ، فإن هذه الحرية المزعومة قد فقدت معناها وتكشفت عن واقع مذموم تحمل واجهته شعارات براقة لكنه يخفي خلفه ممارسات متعددة من التسلط والزيغ والكذب والخداع بل والتجسس ذاته ، مثلما حدث من ممارسات أمريكية ضد ليبيا والعراق في وقت واحد .. !!

فالصحافة التي كان ينبغي أن تكون وسيلة لتشكيل الرأي

العام على أسس سليمة من الصدق والواقعية بحيث تكون مسئولة أمامه - كصحافة حرة في ظل نظام ديمقراطي - وأن يكون تأييدها أو معارضتها استنادا إلى حقائق أو معلومات مؤكدة ، هذه الصحافة اكتشفت أنها مجرد وسيلة في أيدي أخرى تتولى تضليلها وتوجيهها لتحقيق غايات وأهداف بعيدة كل البعد عن الشعارات المرفوعة والتي تعمل في ظلها هذه الوسائل الاتصالية ، وأن الحرية الحقيقية للصحافة تكمن في الإخبار عن ما جرى بالفعل وليست في نشر آراء وتعليقات يراها البعض مخالفة للخط الرسمي للدولة التي تصدر فيها الصحيفة ، فهذه الآراء والتعليقات المخالفة - عند وجودها - هي نتيجة الجانب معين فقط من حقيقة ما جرى كله ، أما الحرية الحقيقية فهي الإخبار بما جرى كله ، وهذا من النادر حدوثه رغم الشعارات التي ترفعها الدول وترفعها الصحافة أيضا ..

لقد أكد « ريجان » منذ سنوات أسفه وحزنه لتوقف صحيفة « واشنطن ستار » The Washington Star المسائية نهائيا عن الصدور ، وقال في رسالته إلى رئيس التحرير والتي نشرت في العدد الأخير منها قبل توقفها مباشرة : إنه (منذ تأسيس الجمهورية - الولايات المتحدة الأمريكية - كانت الصحافة مبدأ أوليا بالنسبة للأمريكيين ، ولقد آتينا دائما بأن الحقيقة إذا ما منحت مسافة قليلة للتنفس ، فإنها تصبح قوة

كاملة من تلقاء نفسها .. ولقد آمنّا بأن صحافة حرة -
مهما كانت تجاوزاتها العابرة - لى عنصر جوهري للبحث
عن الحقيقة وللحرية الإنسانية التى تعبر عنها (٥) ، لكن هذا
الكلام عن الحرية والحقيقة لم يكن سوى شعارات أيضا ..

فقد تفجرت أزمة عالم مصداقية البيت الأبيض نفسه
كمصدر رسمى للإعلام إثر استقالة « برنارد كالب »
من منصبه - كمتحدث صحفى باسم وزير الخارجية
الأمريكية - احتجاجا على خطة التضليل الإعلامى التى اتبعتها
أمريكا تجاه ليبيا ، والتى كشف عنها « بوب وودوارد » محرر
صحيفة « الواشنطن بوست » (وهو الصحفى نفسه الذى
ساهم فى كشف فضيحة ووترجيت التى أسقطت نيكسون إثر
إدلائه بمعلومات كاذبة للكونجرس عن عملية التصنت على مقر
الحزب الديمقراطى المنافس خلال الانتخابات) ليّين للرأى
العام المحلى والعالمى أن الحكومة الأمريكية قصدت بمقتضى تلك
الخطة الإعلامية تجنيد الصحافة ووسائل الإعلام لنشر التقارير
الكاذبة التى تُظهر الرئيس الليبى فى صورة رجل الإرهاب
الأول فى العالم ؛ مما يبرر للرأى العام - المحلى والعالمى -
الهجمات المتعددة ضد ليبيا (٦) ..

وأثر « كالب » الاستقالة من منصبه احتجاجا على « خطة
البيت الأبيض التى تسببت فى الإساءة إلى سمعة الإعلام
الأمريكى وأفقده - إلى حد كبير - ثقة الجماهير التى كان

يتمتع بها « خاصة وأن « كالب « صحفي بارز ومعلق مرموق لا يرضى لنفسه أن تؤخذ تصريحاته بعد ذلك من الشك بدلا من التصديق المباشر ..

ثم جاءت فضيحة الأسلحة الأمريكية لإيران - والتي كشفت خيوطها مجلة (الشراع) اللبنانية - لتقضي تماما على مزاعم مصداقية الإعلام الأمريكي وتضعه موضعه الصحيح كدعاية لها أوجهها المختلفة وتعبر عن اتجاهات ومصالح مختلفة أيضا .. فقد تلقفت الصحافة الأمريكية الخيط من المجلة اللبنانية - الشراع - لتكشف قيام الرئيس رونالد ريغان بالدور حيث وافق على العمليات السرية الخاصة بإرسال شحنات الأسلحة إلى إيران وإصداره تعليمات لمدير المخابرات الأمريكية - ولیم كيسي - بعدم إبلاغ الكونغرس أو لجانه المختصة بشئون الأمن القومي والمخابرات بهذه العمليات^(٧) بالإضافة إلى استخدام أرباح صفات هذه الأسلحة لتمويل الحملات الانتخابية في التجديد النصفى للكونغرس لصالح المرشحين المؤيدين لبرنامج الرئيس ريغان في مجال مساعدة متمردي نيكاراغوا - الكونترا - الذين يطالبون بإنهاء حكم الرئيس دانيال أورتيغا والعودة إلى النظام البرلماني الغربي ، وكذلك تمويل الحملات المعادية لمرشحي الحزب الديمقراطي المعارض في أمريكا ..

.. وخرجت الصحافة ومراكز استطلاعات الرأي بأخبار وتحليلات ودراسات ونتائج تقول إن أغلبية ساحقة من

الأمريكيين - وبالتالي في العالم كله - لم تعد تصدق الرئيس الأمريكي^(٨) ، وتعدت أزمة البيت الأبيض لتحتل الصفحات الأولى في الوسائل الإعلامية في المملكة المتحدة^(٩) ثم في العالم كله ..

ومن هنا أصبحت مصداقية الوسائل الاتصالية كلها محل شك كبير مادام « البيت الأبيض » نفسه يعمل بعدة أوجه مختلفة ويعلن غير ما يبطن حتى في مجال تعامله مع الشعب الأمريكي نفسه ، وبالتالي أصبحت مصداقية القائم بالاتصال Communicator محل شك ؛ إذ قد يقوم بالتعبير - دون قصد منه - عن مهام خفية Latent Functions ليست واضحة في محتوى الرسالة الاتصالية لكنها ناتجة عن تخطيط وتدير من جهة المصدر أو القائم على أمر الوسيلة الاتصالية ..

.. ونتيجة لذلك كله بدأت النظرة تتجه إلى عملية الاتصال بشكل عام للوصول إلى ما يعيد الجسور المفقودة بين الإعلاميين وبين جمهورهم على أسس من الصدق والموضوعية ، وبدأ البحث عن إعلام يسير على أسس ثابتة ، ولا يتخبط حسب أهواء أصحاب القرار ، لكن أصبح ذلك عسير المنال مادامت الوسائل الاتصالية مركزة في هجومها - الواضح وغير الواضح - ضد الإسلام وضد المسلمين للهيمنة عليهم وعلى بلادهم ..

إعلام أم دعاية ؟

إذا كان التدفق الاتصالي الدولي قد نجح في اختراق الحواجز والحدود بوسائله المختلفة من إذاعات دولية موجهة وأقمار صناعية وصحافة عالمية ذات طبعات متعددة يختلف مضمونها ولغتها باختلاف الدولة (أو مجموعة الدول) الموجهة إليها^(٩) ، فإن هذه الاتصالات بمحتواها ووسائلها ليست على حياد سواء كان هذا معلنا أو غير معلن ، فالوسيلة كالرسالة الاتصالية تماما لها دلالات ثقافية واجتماعية ، وهناك عوامل كثيرة تؤثر على طبيعة ومحتوى الرسالة أهمها : من يسيطر عليها ومن يتصل بها^(١٠) وأصبح من غير المنطقي التسليم بتعريف الإعلام على أنه - كما يقول العالم الألماني « أوتوجروت » - « تزويد الجماهير بالمعلومات الدقيقة والأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة والسليمة التي تساعدكم على تكوين رأى صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم »^(١١) فهذا يعنى أن الاتصال بشكل عام - والإعلام بشكل خاص - تعبير موضوعي متجرد عن التعبير الذاتي بعيد عن التحيز والأهواء قائم على الحقائق والأخبار الصحيحة^(١٢) ، وهذا ما تكذبه

الممارسات الفعلية التي تقف خلفها احتكارات دولية متعددة وتحالفات متبادلة وحيدة الطرف One Side أو عامة أو محدودة أو دائمة وغيرها^(١٣) ، حيث أصبح الإعلام الرسمي عملية اجتماعية - رسمية في أغلب الأحيان - تعبر عن مضمونات سياسية واجتماعية بعينها بقصد تحقيق وظائف يسعى بناء القوة في المجتمع إلى توصيلها^(١٤) مما يدخل هذا الاتصال المخطط تحت باب الدعاية وليس الإعلام ، خاصة بعد تجرده من الموضوعية والصدق وعدم التحيز إثر تكشف ممارساته عن مهام خفية Latent Functions قصدها القائمون على أمر هذا الاتصال بعيدة كل البعد عن القيم الإنسانية ، حتى صناعة استطلاع الرأي - التي تدخل في باب الدراسات العلمية - تعاطفت بلا تحفظ مع السياسات الرسمية ، فها هو جورج جالوب أشهر خبير في دراسات استطلاعات الرأي العام وصاحب المؤسسة الشهيرة « مؤسسة جالوب » في هذا المجال يعترف بهذا التحيز لخدمة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ، بتهيئة العقول داخل الوطن - وخارجه - للتدخلات العسكرية الخارجية أو المنعطفات الجديدة في هذه السياسات الخارجية^(١٥) وهو ما حدث بالفعل تجاه التدخل العسكري الأمريكي في فيتنام في منتصف الستينيات ، والهجوم ضد ليبيا في أغسطس من عام ١٩٨٦ وكافة الممارسات الإعلامية الأجنبية التي تتدفق على ديارنا بشكل ملح لتحقيق

أهداف وسياسات ومصالح معينة في اتجاهات متعددة دينية
واقتصادية وسياسية وغيرها ..

موضوعية الاتصال الإسلامي

إذا كان الإعلام الدولي قد فقد موضوعيته نتيجة للسياسات التي يعكسها ، فإن الإعلام الإسلامي هو الإعلام الوحيد الذي يعمل - في المجال المحلي أو الدولي - وفق سياسة واحدة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان ولا تتلون أو تنحرف مرضاة قوة أو تحالفات أو أهواء معينة ، فهو ينطلق من منطلقات ثابتة هي القرآن الكريم الذي أوحى به الله إلى محمد ليكون للعالمين نذيراً ، والسنة النبوية الشريفة ، وذلك بهدف تقديم الإسلام للناس أجمعين - عربهم وعجمهم - كما في القرآن الكريم والسنة المطهرة^(١٦) ، وبناء الإنسان على هدى الإسلام والعمل على تماسك الأمة الإسلامية واعتصامها بحبل الله جميعاً دون فرقة أو انقسام ، والدعوة إلى التضامن والتعاون والتكامل وبعث الفكر الإسلامي الأصيل وبناء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية وإلقاء الضوء على كل جديد ودراسته وتقويمه بمعايير الإسلام وعلى هدى مبادئه وتعاليمه ، بحيث يتحرك هذا الإعلام على قاعدة قوامها : الثبات في الأصول والتطور في الفروع^(١٧) فالإسلام حقيقة ثابتة وليس نظرية قابلة للاجتهاد والخطأ والصواب ..

فرغم أن الإعلام الإسلامى لا يقتصر على أمة دون غيرها أو دولة معينة ، إلا أنه لا يتلون ليلائم الجمهور الذى يخاطبه ، بل له محتواه الثابت الذى لا يتغير ، وإنما يكون الاختلاف فى مدى التوسع فى تفسير الرسالة الإعلامية واختيار المنطق الإعلامى المناسب لاستمالة الجمهور الموجهة إليه الدعوة ، فهناك الإعلام الإسلامى للدول الإسلامية ، والإعلام الإسلامى الموجه للدول غير الإسلامية^(**) والتى يمكن أن تضم فئات متعددة ؛ منها : (١٨)

١ - الأقليات الإسلامية .

٢ - أصحاب الأديان السماوية غير الإسلام (من المسيحيين واليهود) وهؤلاء ينقسمون بدورهم إلى فئات مختلفة من حيث التقبل للدعوة من عدمه ومدى معرفة ماهية الدين الإسلامى الذى يدعوهم هذا الإعلام إلى الدخول فيه .

٣ - الذين لم تبلغهم الدعوة الإسلامية ومن فى حكمهم من اللادينيين .

.. فالإعلام الإسلامى فى تحركه - داخليا وخارجيا - يتوجه على هدى الإسلام لإبراز صورة المجتمع المسلم كما ينبغي أن تكون بكل خصائصها ومقوماتها ودعائمه ومميزاتها دون فصل بين السياسة ولا العقيدة ولا الأخلاق ، فالإسلام لا يقر المبدأ الميكافيللى القائل بأن « الغاية تبرر الوسيلة » ، فالمسلم

حيثما وجد يتوجه في ممارساته الفعلية (القولية والعملية) والفكرية من منطلق إسلامي ، وعلى هذا الأساس القوى يبني علاقاته في النواحي الاقتصادية والفكرية والاجتماعية المدنية والجنائية سواء على مستوى الأسرة أو الجماعة أو الدولة ، فالإسلام هنا هو الغاية وإليه المنتهى وكل الأنظمة والمناهج والوسائل والإمكانات موجهة لنشره وتثبيت دعائمه^(١٩) ، ومن هنا فمصادقية هذا التوجه الإسلامي للمسلمين ولغيرهم لا تتزعزع ولا تضطرب ولا تتقلب لهوى أبدا ، وهذا ما يزرع الطمأنينة في نفس الجمهور الموجهه إليه الرسالة الاتصالية بشكل عام ويجعله يميل إلى الثقة في محتوى الرسالة لمعرفة أن الإسلام بمبادئه وتشريعاته يقوم بتحرير الإنسان من أهوائه ونزواته ويجعله يسلك الطريق المستقيم ..

إن تاريخ الاتصال الإسلامي منذ فجر الدعوة الإسلامية يؤكد صدق الممارسات الإعلامية مهما تغيرت الوسيلة التي يستخدمها القائم بالاتصال ، فدائما كانت الفكرة النافعة لإشاعة العقيدة السليمة وإعلاء كلمة الله هي المبتغى ، مما يجعل التواصل بين المرسل والمستقبل في تقارب مستمر ، رغم الهتافات^(***) المتكررة المناوئة للشخصية المسلمة بشكل عام وللعرنى بشكل خاص والتي تشيعها أجهزة الاتصال التي تسيطر عليها القوى العالمية حيث تتم صياغة ورسم سمات الشخصية المسلمة وفقا لمقاييس وتقاليد ومواصفات غربية

ساهمت في تشكيلها - المقاييس - الاضطرابات والأزمات والأهواء والعواطف والانحيازات الدينية والمصالح السياسية^(٢٠) لإحداث رد فعل معاكس للدعوة الإسلامية ، وللاتصال الإسلامي بشكل عام ، وتصوير الإسلام على أنه - رغم انتهاء الحروب الصليبية - لا يزال يعتبر مناقسا جغرافيا وروحيا للغرب المسيحي ، وأنه دائما مصدر قلق واضطراب لهذا الغرب^(٢١) خاصة بعد حرب ١٩٧٣ وظهور سلاح البترول في أيدي العرب وتهديده مصالح الغرب كورقة رابحة في المواجهة العربية مع الصهيونية^(٢٢) ، مما أدى إلى تغير العبارات المؤثرة التي كان يستخدمها الصهيونيون في أمريكا لجمع التبرعات والتي تقول : (أعطونا لنعيش) إلى شعارات حادة - ساهم فيها غير الصهاينة أيضا تقول : (اعطونا لنقتل العرب) !!

لكن الممارسات الفعلية للمسلم وللصهيوني تعمل على تغيير الصورة مع مرور الزمن إلى صورة أقرب إلى الواقع ..

فالمسلم بسلوكه الرشيد وإنسانيته التي أوصاه بها دينه الخفيف ؛ لا يمكن أن يقف في اتجاه واحد مع الممارسات الشائنة وغير الإسلامية للصهاينة في تعاملهم الحاقدا النابع من أكلوبة « شعب الله المختار » ..

محاولات متعددة للخروج من الأزمة

.. التشويه المتكرر لصورة غير الغربيين في النظام الإعلامي الراهن الذي تسيطر عليه الاحتكارات العالمية، والصمت المتعمد لإزاء القضايا الهامة والدعايات المضادة التي تركز على دعاوى العرقية الجنسية والثقافات الغربية؛ ذلك كله جعل العالم يسعى للخروج من مأزق التبعية الإعلامية بالبحث عن نظام جديد للإعلام يقوم على التكافؤ واحترام ذاتية الفرد وهويته الثقافية، فكان أن وافق المؤتمر العام لليونسكو في الخامس والعشرين من أكتوبر ١٩٨٠ بالإجماع على مشروع «النظام العالمي الجديد للإعلام والاتصال» والذي عُرف بـ (تقرير ما كبرايد) للقضاء على الآثار السلبية للاحتكارات الدولية لوسائل الاتصال وإحداث التوازن في الإعلام بشكل عام لمنع... أو تقليل - إمكانية بعض هذه الاحتكارات تشكيل أفكار آراء الشعوب وإخضاعها لقيمها الخاصة^(٢٣)، أيضا المحاولات المتعددة لوضع ميثاق شرف للصحافة بشكل عام، وإصدار بعض الصحف الجديدة البعيدة عن التحالفات والتكتلات، وأحدث هذه الصحف صحيفة The Independent البريطانية التي أطلقت على نفسها اسم

« المستقلة » وتحاول أن تطبق ذلك بالفعل^(٢٤) .. وكل ذلك للخروج من الاحتكارات التي تشوه أو تمنع بعض المعلومات وتسمح بمعلومات معينة تساعد في تكوين وجهات نظر معضلة لها أو على الأقل غير مناوئة ، وهو ما يطلق عليه في علوم الاتصال نظرية حارس البوابة الإعلامية .. !!

إن الاتصال الإسلامي في ممارساته قد وضع الضوابط الكفيلة بجعل هذا الاتصال لا يظهر غير ما يظن ، تؤكد ذلك مراسلات الرسول ﷺ إلى أمراء وملوك عصره ؛ حيث الصراحة والوضوح : (أَسْلِمَ تُسَلِّمَ) ومعاهداته وأحاديثه وخطبه ، وقد سار على هذا النهج من حملوا عبء الدعوة داخل البلاد الإسلامية وخارجها .. فهذا هو أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب - في القرن الرابع الهجري - يؤكد في كتابه (البرهان) : « أن أصحاب الخير ينبغي أن يكونوا من أصح العمال ديانة وأكملهم أمانة وأظهرهم صيانة » كما أنه لا ينبغي أن يتقدمهم أحد في الصدق والثقة والأمانة غير القضاة ومن جرى مجراهم ، وهم من لا يكونون فيهم شيء من الحدة والحسد والغفلة » ، كما يطالب بن خلدون في مقدمته بأن يتواءم الخير مع ما يعبر عنه ؛ وأنه إذا « كانت النفس البشرية على حال من الاعتدال في قبول الخير أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه » ..

فالخلل للخروج من أزمة عدم المصداقية التي تفجرت هذه الأيام وأفقدت الثقة في الوسائل الاتصالية في الغرب هو اتخاذ المنهج الإسلامي في الإعلام والاتصال بشكل عام حيث الثبات والوضوح وعدم التخبط وراء الأهواء والأغيب السياسة ، فالإعلام الإسلامي مصدره الأول تعاليم القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو يختلف عن النظريات الإعلامية الوضعية المقابلة للصواب والخطأ والاجتهاد ..

وعلى وسائل الاتصال في العالم الإسلامي أن تقوم بدورها الفعّال في أن تُعلم وترشد وتوجه إلى الطريق الصحيح ، فالمسؤولية الإعلامية قد كلف الله بها المسلمين جميعهم في قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .

[آل عمران : ١١٠]

إحالات هامشية :

(١) محمد عزيز شكرى ، الأحلاف والتكتلات فى السياسة العالمية ، سلسلة « عالم المعرفة » ، العدد (٧) ، الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب : رجب / شعبان ١٣٩٨ هـ - يوليو ١٩٧٨ م ، ص ١٥ .

(٢) إبراهيم إمام ، وكالات الأنباء ، طبعة ثانية (القاهرة ، دار الفكر العربى : ١٩٨٤) ص ٢٦٨ .

(٣) سورة (الم نشر) : ١ : ٨ .

(٤) عبد الوهاب كحيل ، الأمل العلمى والتطبيقية للإعلام الإسلامى ، الطبعة الأولى (القاهرة ، عالم الكتب : ١٤٠٦ هـ / ١٩٧٥ م) ص ٢٩ .

(٥) The Washington Star, Final Edition, 7. August, 1981. وقد نشرت الصحيفة رسالة ريجان إليها تحت عنوان : « رسالة (القارىء) ريجان إلى رئيس تحرير الواشنطن ستار » .. وكانت الصحيفة قد أحدثت ضجة كبيرة فى عالم الصحافة نظرا لتاريخها العريق منذ صدورها فى ١٦ ديسمبر ١٨٥٢ .

The Washington Post, 2. October, 1986. (٦)

The Washington Post, 16. November, 1986. (٧)

(٨) أصبحت تفاصيل الصفقة السرية هى القصة الإخبارية الرئيسية لأغلب الصحف والمجلات منذ كشف خيوطها الأولى .. انظر :

Time, 17. November, 1986.

حيث كشفت أن العلاقة السرية بين الولايات المتحدة وإيران ترجع إلى عام ١٩٨٢ م ..

-News Week, 17. November, 1986. و :

«Reagan's secret strategy: 'The Iran Connection'»

واحتلت قصص هذه الصفقة الموضوع الرئيسى للعديد فى سبع صفحات وصفت ملايسات الواقعة بالتآمر والخلاع والتجسس Cleak and Dagger

و : عن عدم الترابط في موضوع الصفقة -Time, 1. December, 1986

و : -The Washington Post, 1. December, 1986.

التي ذكرت أن أمريكا صوّرت السلاح إلى إيران مباشرة بعد قيام سماسة
السلاح في إسرائيل بإبدال قطع غيار حديثة من الصفقة بأخرى قديمة 1

(٩) -The Observer, 16. November. 1986.

(٥) في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها اليوم أكثر من ١٢٠٠ محطة تليفزيون
و ١٧٥٠ صحيفة يومية ، و ٨٠٠٠ محطة إذاعية ، وأكثر من ٦٠٠٠٠ مجلة أسبوعية
وشهرية .. وكل هذه الوسائل المختلفة والمتنوعة تتحكم وتسيطر عليها فئة محدودة
وشركات محدودة ، فهناك ٥٠ شركة فقط تسيطر على وسائل الإعلام ، تستقطب
عشر شركات أكثر من نصف المستمعين للراديو التجارى Commercial Radio
كما أن عشرين صحيفة يومية تسيطر على نصف المبيعات من الصحف اليومية ،
والحال نفسه مع المجلات الأسبوعية والشهرية ..

ارجع إلى مجلة (المجلة) ، العدد ٣٥٨ (لندن ، الشركة السعودية للابحاث
والتسويق : ١٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٦/١٩٨٦ ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ)
ص ٦٦ ، حوار مع جاك شاهين أستاذ الصحافة في جامعة جنوب الينوى ..
و : هريت . أ . شيلر ، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة عبدالسلام رضوان ،
سلسلة ٥ عالم المعرفة ، العدد ١٠٦ (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون
والآداب : محرم ١٤٠٧ هـ / أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٦ ص ٢٧ .

(١٠) بولى جورج فرجيز ، قلمفة الاتصال من أجل التنسية : وجهة نظر
المهند ، ترجمة إبراهيم عصمت مطلوع ، مجلة (الثقافات ٥) ، (القاهرة ،
اليونسكو : ١٩٨٣) ص ٦٩ .

(١١) إبراهيم إلم ، الإعلام والاتصال بالجماهير (القاهرة ، الانجلو : ١٩٦٩)

(١٢) أكروم عبدالملك أسعد ، نحو إعلام إسلامي ، الطبعة الأولى (القاهرة ،
مطبعة المدينة : ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ١٥ .

(١٣) مرعى مذكور ، الإعلام الإسلامى الطباعى : فى اللول غير
الإسلامية ، الطبعة الأولى (القاهرة ، دار المعارف : ١٩٨٥) ص ١١١ .

(١٤) عبدالباسط عبدالمعطي ، الإعلام وتزييف الوعي (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة : ١٩٧٩) ص ١٥ .

(١٥) هزبرث . أ. شيلر ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ : ٢١٧ .

(١٦) مرعى مذكور ، الإعلام الإسلامى الطباعى ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(١٧) إبراهيم إمام ، « تطوير وسائل الإعلام الإسلامى » ، مجلة رابطة العالم الإسلامى ، المعدادان الحادى عشر والثانى عشر ، السنة الثامنة عشرة ، سبتمبر واكتوبر ١٩٨٠ ، ص ١٠٦ .

« توجد دول ذات أكثرية مسلمة ، لكنها تعلن أنها ليست دولة دينية ، مثل ذلك إندونيسيا ذات الأكثرية المسلمة بنسبة ٨٨,٠٩٪ (كافوليك ٢,٥١٪ ، بروتستانت ٥,٣٥٪ ، وهندوك ٢,٠٥٪ ، وبوذيون ٠,٩٦٪) كما تقول الإحصائية الصادرة عام ١٩٨٠ عن الهيئة المركزية للإحصاء فى إندونيسيا نفسها .. انظر : - عبدالرحيم أرشد بن محمد أرشد ، دكتوراه : غير منشورة ، « الدعوة الإسلامية فى إندونيسيا » ، مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ ..

ورغم ذلك فالدولة تنفى عن نفسها أنها دولة دينية ، وتزعم أنها : (لاتقوم على أساس دين معين ، وإنما تقوم على أساس فلسفة الدولة الأيديولوجية الوطنية التى تسعى « البنشاسيلا » التى هى الأساس الفلسفى للثورة وأساس الدستور الذى أعلن غداة الاستقلال ..) !!

فهذه البنشاسيلا : خمسة « وهـ سيلا : الأساسى »

أى « الأساس الخمسة المتلاحمة » والتى تترتب على النحو التالى :

— الربانية المنفردة : أى الإيمان بالرب الواحد .

— الإنسانية .

— الوحدة الأندونيسية .

— الشعبية الموجهة بالحكمة فى الشورى النيابية .

— العدالة الاجتماعية للشعب كافة .

وهذا نجاح كبير للمتولين للإسلام فى أن تخلع أكبر دولة من حيث تعداد المسلمين عن نفسها صفة الإسلام !!

(١٨) مرعى مذكور ، الإعلام الإسلامى الطباعى : فى الدول غير الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(١٩) يوسف القرضاوى ، الحل الإسلامى لفريضة وحضرة ، الطبعة الثانية ، (القاهرة - مكتبة وهبة : ربيع الثانى ١٣٩٧ هـ / إبريل ١٩٧٧ م) ص ٩٦ .

(٢٠) اختلف يشير إلى الخلاصة المركزة للحملة الإعلانية ، حيث تكون الفكرة أو السلعة المعلن عنها قد مرت لدى المستهلك بمراحل متعددة ووصلت إلى مرحلة الاستقرار وأنها فى ذهنه بالفعل ، فهو للتذكرة فقط للقيام بفعل إيجابى .

(٢١) ادوارد . و . سعيد ، تغطية الإسلام ، ترجمة سميرة نعيم خورى ، الطبعة العربية الأولى (بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٣) ص ٧٤ وما بعدها .

(٢٢) ادوارد ، و . سعيد ، الاستشراق : المعرفة . السلطة . الإنشاء ، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٣) ، ص ٢٨٦ .
و : ادوارد سعيد ، « السياسات الثقافية » ، مجلة (المجلة) ، العدد ٣٥٦ ، ص ٢٦ .

(٢٣) أحمد أبوزيد ، « الإعلام والرأى العلم » ، مجلة « عالم الفكر » (الكويت وزارة الإعلام : يناير - فبراير - مارس ١٩٨٤) ص ١٠ . وانظر :
— عواطف عبدالرحمن ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث ، سلسلة « عالم المعرفة » ، العدد ٧٨ (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب :) ص ٢١٧ وما بعدها .

- The Independent, 7. October, 1986.

(٢٣)

الفصل الثاني :

المخططات الدولية لتشويه الإسلام

مواجهة مستمرة ضد الإسلام

منذ ظهور الإسلام كعقيدة إنسانية شاملة للبشرية جمعاء ،
لا تخلص بنعمة الله أمة دون أخرى أو طبقة على غيرها ؛ وهذا
الدين - الإسلام - يواجه حملات عنائية شعواء من الغرب
ومن الشرق على السواء منذ خيانات اليهود لعهود رسول الله
ﷺ وحتى الإذاعات الدينية المعاصرة التي تهدف إبعاد الناس
عن الإسلام وتحويل المسلمين عن دينه الله ..

وقد نشطت هذه الحملات العدوانية تتوالى ضد الإسلام إثر
انطلاق المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين ينشرون دين الله
خارج الجزيرة العربية ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ،
ومن الشك إلى اليقين ، ومن التعلد إلى التوحيد ، ومن الإلحاد
إلى الإيمان ، ومن العنصرية إلى الإنسانية .. إلا أن هذه
الحملات أخذت شكلا نظاميا بعد الفتوحات الإسلامية
الكبرى في الشام ومصر والعراق وفارس والأندلس ، وقهر
دولتي الشرق (الأكاسرة) والمغرب (القياصرة) حيث لم تعد
فارس ولا بيزنطة تفرضان سيطورتهما على العالم أو يدان لهما
بالولاء كما كان الحال عليه قبل الإسلام .

ومع مرور السنين لم يعد الشرق امتدادا للغرب ومسرعا
لسيطرته ووسطوته ، بل على العكس من ذلك تماما ، فقد بدأ
الشعور الأوروبي - خاصة - بالتحدي الإسلامي قويا ومثيرا
للرغبة والخوف ، وتحسّد هذا الخوف بعد أن فتح المسلمون
مناطق كثيرة كانت تعتبر معاقل حصينة للمسيحية ، وظهر
الإسلام ؛ سواء في صورة الدولة العربية أو العثمانية أو الشمال
الأفريقي أو الإسبانية ؛ كقوة جبارة تهدد أوروبا المسيحية في
عقر دارها ، بل إنه قد هزّ بالفعل سلطان روما نفسها وزلّزله
وفتح القسطنطينية وألبانيا والبوسنة والصرب عام
(١٤٢١-١٤٥١م) ثم بلاد المجر على يد سليمان الثاني ليصبح
بحر إيجة بحرا إسلاميا ؛ وهو أمر لا يمكن لأنى أوروبي في الماضي
أو في الحاضر أن ينساه أو يتناساه^(١) ..

وأصبح الطعن المنظم من الأوروبيين - خاصة - ضد الدين
الإسلامي مقيدا باعتبارين :^(٢)

— اعتبار ديني .

— والآخر سياسي .

ذلك أنهم رأوا أن الإسلام الذي غلب النصرانية في الشرق
قد بدأ يغلبها في الغرب أيضا .. فكانت العدة لصدد هذا التيار
بمحاولات تغريب شعوبه عن دينهم وبيئاتهم ، ومحاربة الدين
بالافتراء عليه وبالطعن فيه .. وهكذا أعد أعداء الإسلام العدة
لقتال المسلمين بالسلاح وبالسياسة ، وأحكموا نظام الحريين

معا : القتال العسكرى ؛ والغزو السياسى والفكرى عن طريق وسائل الاتصال ..

ففى الجانب العسكرى بدأ الغرب المسيحى توجهاته العسكرية ضد البلاد الإسلامية فى صورة حملات صليبية عام ٤٩٠ هـ (١٠٩٦م) كانت أولى طلائعها الحملة الصليبية الأولى التى انتهت بسقوط عكا فى أيدى المسلمين بقيادة السلطان الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سنة ٦٩١ هـ (١٢٩١م) وضياع الممتلكات الصليبية فى الشام ، وفى الوقت نفسه كان الزحف المغولى المدمر يحاول استئصال الحضارة الإسلامية ، وبالفعل نجح المغول فى اقتحام بغداد عام ٦٥٦ هـ بقيادة هولاكو وأسقطوا الخلافة العباسية ، ثم واصلوا زحفهم لتدمير الحضارة الإسلامية ، إلى أن تم وقف هذا الزحف وهزيمتهم فى عين جالوت على يد المماليك عام ٦٥٨ هـ (١٢٥٩م) ..

ومن جهة ثالثة كان هناك الزواج السياسى بين فرديناند ملك « أرجونة » وإيزابيلا ملكة « قشتالة » عام ١٤٦٩م لتوحيد الأندلس ضد ما أسموه الغزو العربى الإسلامى لتسقط غرناطة عام ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م) آخر معاقل المسلمين هناك بعدما يقرب من ثمانية قرون ، ثم يصدر فرديناند وإيزابيلا مرسوما - عام ١٥٠٢م - يقضى بإلغاء شعائر الدين الإسلامى فى جميع أنحاء البلاد^(٤) .

١ - الاستشراق والتنصير ..

٢ - دوائر المعارف والموسوعات العلمية والتعليم ..

٣ - الصحافة ..

٤ - التأليف الأدبي ..

وهذه الوسائل كلها تسير في اتجاهين ؛ حلدها القس
زويمر ؛ على النحو التالي :^(٦)

« اتجاه تشييد ، واتجاه هدم ، أو بالأحرى مزيتى تحليل
وتركيب ، على أساس أنه إذا كانت الوسائل الهجومية
والتبشيرية المباشرة قد عجزت عن أن تزعزع العقيدة
الإسلامية من نفوس المسلمين ، فإن ذلك من السهل الوصول
إليه عن طريق بث الأفكار الأوروبية التى تمهد السبل لتقدم
إسلامى ماذى ، حتى يصبح الإسلام فى حكم مدينة محاصرة
بالأسلاك الأوروبية » .

وللأسف ؛ أصبح العالم الإسلامى اليوم محاطا بموجات براءة
وخادعة متتالية ومستمرة من التشكيك فى قدراته وفى دينه
ليتحلل من إيمانه القوى ويصبح فريسة لقوى الشر العاتية ،
وانهالت المعارك المتعددة والحادة تواجه المسلمين ، تارة من
الخارج ، وتارة أخرى من الدخيل تحت دعاوى المذهبية
والطائفية أو هما معا ، وساعد على ضراوة هذه المعارك التنسيق
الواحد بين قوى الشرق والغرب ضد كل ما هو اسلامى .

.. ووسط هذا الانفجار الإعلامي والطوق المحكم ضد كل ما هو إسلامي تتعالى استغاثات وكالة الأنباء الإسلامية (IINA) News Agency International Islamic حتى تسدد الدول الأعضاء التزاماتها المالية التي لم تف بها بعد لتتغلب الوكالة على الأزمة التي تواجهها !!

ألا يعنى هذا أننا نقدم الفرصة للانفجار الإعلامي غير الصادق لغزو عقولنا !!؟

١ - الاستشراق والتصوير

بدأ اهتمام الغرب بدراسة الإسلام وحضارته منذ القرن الثاني من الهجرة ؛ عندما احتك الإسلام بالغرب سياسيا وحربيا وأسس مراكز إشعاع لحضارته في جنوب أوروبا وغربها الجنوبي ، وبعد الفشل الذريع للحروب الصليبية ، وتؤكد هذا الاهتمام بعد ظهور الإسلام كقوة كبيرة تثير الخوف والرعب في قلوب الأوروبيين - خاصة - بعد فتح القسطنطينية عام ٥٨٥٧ (١٤٥٣م) على يد السلطان محمد الثاني الملقب بـ « الفاتح » ..

وأمام هذا الاجتياح الإسلامي لم يكن أمام الأوروبيين إلا تغيير خططهم العسكرية إلى ما أسموه « الصليبية الروحية » التي تركز على الغزو السلمى لعقول المسلمين عن طريق تعلم الأوروبيين علوم المسلمين ليتمكنوا من تشويه العقائد الإسلامية وتاريخ الإسلام^(٧) ..

ورغم أن المؤلفين المسيحيين الذين شغلوا الفتوحات الإسلامية لم يكن لديهم اهتمام ضئيل بعلوم المسلمين وثقافتهم العالية ، إلا أن هذا الزحف كان يمثل بالنسبة لهم رجة مأساوية

تهدد الحضارة المسيحية كلها ، فبدأوا يتجهون إلى معرفة الشرق وعلومه لإحكام سيطرتهم عليه ، ومن هنا فإن الاستشراق ليس مجرد موضوع ثقافي أو معرفي ، ولكنه مجموعة من المصالح التي لا يقوم الاستشراق بخلقها فقط ، بل بالمحافظة عليها أيضا بوسائل متعددة^(٨) ، فالاستشراق - إذن - حقيقة دينية وسياسية في المقام الأول وثقافية أو معرفية بعد ذلك .. وقد مر الاستشراق بمراحل متعددة ، على النحو التالي :^(٩)

المرحلة الأولى :

وتبدأ من القرن الثامن الميلادي وتستمر حتى النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر ، حيث المواجهة العسكرية بين المسلمين وبين الغرب ، ونجاح المسلمين في هز المسيحية في عقر دارها ، وقد أفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية في ذلك الوقت وعكف علماءها على ترجمة ونقل بعض جوانب التراث الإسلامي ..

المرحلة الثانية :

وتشمل الفترة منذ أوائل النهضة الأوروبية حتى بداية القرن الحالي ، وفيها احتلت دراسة الفلاسفة وعلماء الكلام الإسلاميين مكانها في الجامعات القديمة ، وظهر أثر الفكر الإسلامي في اتجاهات بعض الفلاسفة الغربيين أمثال جوته

وغيره ، واتجهت العناية بدراسة مسيرة الرسول ﷺ ، وبدأت تظهر الترجمات المختلفة لمعاني القرآن الكريم ، وتأسست الجمعيات العلمية للبحث والدراسة في تاريخ الإسلام والمسلمين ، كذلك سلسلة المؤتمرات الدولية الاستشرافية لبحث ما توصل إليه المستشرقون وقوافل التبشير من نجاحات أو فشل .

المرحلة الثالثة :

وهي المرحلة التي نعيشها الآن ، وقد اتجه الاستشراق فيها إلى دراسة الأمة الإسلامية في نهضتها الحديثة والحركات التجديدية والإصلاحية ، مثل : « الوهابية » في الجزيرة العربية ، و« السنوسية » في ليبيا ، والتيار الإصلاحي في مصر والذي قاده الأفغانى وتلميذه محمد عبده ، وأثر التعاليم الإسلامية الأصيلة في تفكير المسلمين المعاصرين ومدى التزامهم بها عقيدة وشرعية ومنهاجا ..

وسيلة وغاية :

لقد تستر الاستشراق بالصبغة العلمية زمنا طويلا ، وشاع أن المستشرق - كما تقول دوائر المعارف والموسوعات العالمية - هو عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه^(١) ، إلا أن الاستشراق والتبشير بالمسيحية في

حقيقتيهما صنوان لايفصالان ، وأحدهما مقدمة لنجاح الآخر ..
فعندما بدأ الإسلام ينتشر بقوته الذاتية في معاقل المسيحية
ذاتها ، بدأ علماء الغرب يدرسون اللغات ويجمعون المعلومات
عن المسلمين لأغراض - كما يقول المستشرقون أنفسهم -
عقائدية مخمضة^(١١) لخدمة الوحدة الأيديولوجية التي تكونت
بطء في العالم المسيحي اللاتيني ، تلك الوحدة التي ساهمت
الحروب الصليبية بشكل أساسي في إبرازها إلى الوجود ككيان
ملموس في مواجهة التواجد الإسلامي ومدته في أوروبا ذاتها ..
وارتكز الفكر الاستشراقي منذ بدايته في القرن الحادي عشر
الميلادي إلى ثنائية جغرافية خطيرة تقسم العالم شطرين غير
متساويين ، أكبرهما - وهو الشطر المتخلف في زعم الغرب -
يسمى الشرق ، والآخر المتحضر هو الغرب^(١٢) ، وبانتهاء
المواجهة العسكرية بين الشطرين - الشرق والغرب - أصبح
بالإمكان متابعة الدراسة والبحث والاستكشاف في جو من
الصفاء والطمأنينة لاحتواء العالم الإسلامي .. وأصبح
الاستشراق مقدمة ووسيلة لتبصير دعاة المسيحية في الشرق
الإسلامي ، فهو يهد الطريق لهم ويبصرهم بأحوال البلاد عن
طريق تزويدهم بمعلومات وافية لاستخدامها في العمل
التنصيري ، والهدف في النهاية واحد : ضرب الإسلام أولاً ؛ ثم
الحفاظ على تفوق الغرب من الوجهة العسكرية والتجارية
والثقافية وخدمة العقيدة المسيحية ..

طلائع الاستشراق :

في الوقت الذي كانت الحضارة الإسلامية تلقى في أبواب المسيحية بعنف لتضيء للناس حياتهم على أسس راسخة من التوحيد والإيمان والعقل والمساواة ، انجذب إلى هذه الحضارة الشائخة بعض الرهبان منذ أوائل القرن العاشر الميلادي ليدرسوا أصولها وليعرفوا الإسلام عن قرب ، ومن هؤلاء يوحنا الدمشقي ، والراهب الفرنسي جريبرت الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩^(١٣) ثم ازداد النشاط الاستشراقي عن طريق « بيتر » الفرنسي الملقب بـ « المبجل » راهب دير كلوني والذي أبدى اهتماما كبيرا لاستخدام المصادر العربية في الهجوم على الإسلام ، فقد قام هذا الراهب برحلات تفقدية للأديرة الكلونية في أسبانيا بحثا عن قسس لاتينيين يكونون على دراية باللغة العربية ، وأغرى بالرجاء والمال الوفير من تتوافر فيه الشروط لتترك أي شيء في سبيل خير أجل « ألا وهو التصال ضد هرطقة محمد الوضيعة »^(١٤)!

وظلت نزعة الاستشراق وغايته في خدمة التنصير عن طريق الإفادة من العلوم الإسلامية ثم التشكيك في إمكانات المسلمين وفي الإسلام نفسه كدين يقود البشرية إلى النجاة في الدنيا والآخرة ، وقد ساعدت على أداء هذا الدور الحملات الاستعمارية التي سيطرت على بلاد إسلامية متعددة ،

والمعونات المادية التي يغدقها الغرب على الهيئات التنصيرية
ومنظمتها المتعددة ..

والقرآن الكريم نفسه - وهو الكتاب الخالد الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه - منذ أول ترجمة لمعانيه
بتوجيه من بطرس فيزابلس رئيس كنيسة كلنية ، والتي تمت في
الخامس عشر من يوليو ١١٤٣م (٥٣٨ هـ) لم يسلم من
افتراءات المستشرقين ومزاعمهم ، فهو - في زعمهم - من
« اختراع محمد الساحر الذي لم ينجح في الوصول إلى كرسي
البابوية »^(١٥) فكان أن أحدث انشقاقا كبيرا في الكنيسة ..

وللأسف يتناول العالم هذه المعلومات غير الصحيحة في
الموسوعات ودوائر المعارف والدراسات الأكاديمية ، على أنها
محايدة تماما ، في حين أنها تصاغ وفقا لمقاييس وتقاليد
ومواصفات وتوقعات غربية غير موضوعية ..

والاستشراق يطور أسلحته حسب مقتضى الحال ،
ويستخدم في ذلك وسائل متعددة ؛ منها :

أ - الجمعيات الخاصة التي تتكون تحت ستار العلم ، مثل
« جمعية المستشرقين » في فرنسا والتي تأسست سنة ١٧٨٧م ،
و « جمعية تشجيع الدراسات الشرقية في لندن » (١٨٢٣م) ،
والجمعية الشرقية الأمريكية (١٧٤٢م) ، وغيرها من الجمعيات
المنتشرة في النمسا وهولندا وإيطاليا وروسيا وغيرها من دول
العالم ..

ب - المؤتمرات الاستشرافية المتعددة ، وأهمها مؤتمر القاهرة الذى تم افتتاحه فى الرابع من إبريل سنة ١٩٠٦ فى منزل عزالى باشا فى باب اللوق ، والذى بلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير فيه ٦٢ بين رجال ونساء يمثلون الإرساليات التبشيرية الأمريكية والإنجليزية والاسكتلندية والألمانية والهولندية والسويدية الدانمركية فى الشرق وفى الدول العربية بوجه خاص ، وقد ترأس هذا الملتقى التبشيرى القس « زويمر » رئيس إرسالية التبشير فى البحرين فى ذلك الوقت (١٦) ..

ج - التبشير عن طريق الطب ؛ حيث يكون ذلك العمل فى مآمن من مناوأة حكومات الدول الإسلامية له ، والمسلمون أنفسهم يلجأون إلى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم ، وبالفعل تم افتتاح عدة مستشفيات فى دول متعددة (إحداها المستشفى القبطى فى القاهرة والذى افتتح عام ١٩٢٦) ..

د - الأعمال النسائية مثل زيارة المبشرات لمنازل المسلمين وإلقائهن المحاضرات الخاصة ، ولم تلق هذه الوسيلة نجاحا فى الدول العربية مما أدى إلى الكف عن مزاولتها ..

وتتجسد خطورة المد الاستشرافى التبشيرى ضد المسلمين إذا دققنا فى النداء الذى وجهته مؤخرا جمعية الإغاثة العالمية فى لندن والذى « يناشد جميع المسلمين فى العالم أن يتعاونوا لإنقاذ إفريقيا المسلمة من خطر التنصير » ويذكر التقرير أن « نسبة المسلمين فى ملاوى قد انخفضت من ٧٠ / إلى ٣٠ ٪ نتيجة

الحملات التبشيرية ، وأن مركز التبشير في داكار يعمل به ٢٥ ألف قسيس وراهب ، وأن هناك ٦٥ مليون مسلم في إفريقيا معرضون للارتداد عن الدين بسبب المجاعات والأمراض وغيبة الدعاة المسلمين ..

.. الأمر الخطير في ذلك كله أن نجد بيننا من يتبنى الأطروحات الاستشراقية ذات الانحيازات الدينية والمصالح السياسية ، أو - على الأقل - يسير في ركاب هذه الانتماءات تحت شعارات الحرية ، يحدث هذا في الوقت الذي يبحث فيه أهل الغرب عن حياة روحية في الفلسفات المختلفة من نيوزوفيه^(٥) وغيرها مع المكابرة والإصرار على العدواة الشديدة للإسلام الذي ارتضاه الله للبشرية دينا والذي يقدم قواعد عامة في شتى مناحي الحياة حسب منهج الله الذي رسمه سبحانه وتعالى للحياة في الأرض والذي يعد أساساً لصلاح الكون والحياة ..

٢ - دوائر المعارف والموسوعات العلمية والتعليم

رغم أن معالم الدعوة الإسلامية واضحة وبيّنة ، لا ترسمها اجتهادات الأنبياء ولا تتبع من فلسفات فكرية خاصة ، بل هي برنامج إلهي يضم جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من حياتهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين^(١٧) ، إلا أن هذه الدعوة تعرضت منذ القدم -

ولا تزال - للتشويه والتحريف بقصد إبعاد المسلمين عن دينهم
وتغريب أفكارهم وصبغها بالصبغة الأوروبية ضمانا لسلبهم
القوة الذاتية المستمدة من إسلامهم لتظل تبعيتهم للغرب قائمة
استمرارا للمكاسب التي يجنيها الغرب من ذلك ..

ولكى يبعد الغرب عن نفسه صفة الاستعمار أو التحيز فقد
تستر خبائره ودعائه تحت عباءة البحث العلمى والكتابة
المعرفية الموسوعية ، فكان هذا الكم الهائل من الموسوعات
ودوائر المعارف العلمية والكتب المليئة بالمغالطات والمفتريات
ضد الدين الإسلامى والمسلمين ، أيضا إنشاء الجامعات
التبشيرية وصبغ التعليم الجامعى صبغة أوروبية ، وإحداث ثنائية
تعليمية فى بلادنا بفصل التعليم الدينى عن التعليم المدنى بهدف
إبعاد الدين عن مناحى الحياة المختلفة وحصره فى الوعظ
والإرشاد داخل المساجد ، مع أن الدين الإسلامى برنامج كامل
ينظم أمور الحياة كافة على هدى وبصيرة ليقود الناس إلى
الصراط المستقيم ، كما فى قوله تعالى : ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

[ابراهيم / الآتية : ١]

أ - الموسوعات ودوائر المعارف :

تُجمع الدراسات المنصفة على أن الهجوم على العقيدة الإسلامية داء قديم متأصل في أسلاف هؤلاء الجاحدين وأخلافهم ، فهم ما تركوا باباً من أبواب الافتراء إلا سلكوه في حربهم لعقيدة الإسلام ، ما بين تكذيب بالوحي ، وتكذيب للرسول^(١٨) واتهام للمسلمين في عقيدتهم ومنهج حياتهم وسلوكهم ، وصولاً إلى مسخ الصورة الإسلامية في الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع وكافة مناحي الحياة وتحويلها إلى صورة غريبة في المجالات الحياتية جميعها لكي تدوم التبعية للحضارة الغربية ..

وذلك كله يمكن كشفه في يسر وسهولة بتتبع مصادر هذه المزاعم وكشف أباطيلها ، لكن الخطر في الأمر أن هذه الادعاءات والأكاذيب يتم ترويحها للعالم على أنها حقائق علمية مجردة عن الهوى .. فالموسوعات ودوائر المعارف العالمية والتي من المفروض أنها تقدم مادة متوازنة عن المعارف الضرورية التي يحتاجها المثقف العادي والعالم المتخصص في غير مجال تخصصه ، باعتبار أنها مصدر من مصادر الثقافة ، نجد أنها عكس ذلك بالنسبة لما يخص الإسلام حيث تعج بالمغالطات والأكاذيب والمفتريات ضد كل ما هو إسلامي^(١٩) ..

فدائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britanica في طبعاتها المتعددة تقدم الإسلام على أنه : « يتألف أساساً من كلمات محمد الموثوق فيها ، فسوره الـ ١١٤ يرتبط بعضها ببعض بوحداية الفكر المتناغم ، والأسلوب الذى يحمل سمعة شخصية النبي التي يصعب محوها » وأن القرآن ما هو إلا « مجموعة مستقلة من الأحاديث النبوية أو المحاضرات الدينية لها طابع العظة » !!

وتتابع الأكاذيب ابتداء من إنكار أن القرآن من عند الله تعالى ، وصولاً إلى تشويه التاريخ الإسلامى وديار المسلمين ، فتذكر الموسوعة نفسها - المجلد الثامن عشر وعلى الصفحة ١١٤٨ - عن مدينة الرملة الفلسطينية أنها : « مدينة إسرائيلية وهى تعنى بالعبرية (رملا) وأن أغلب سكانها من اليهود الذين هاجروا من شمال إفريقية ومن آسيا والاتحاد السوفيتى ومصر ، وأن أول من أنشأ المدينة هو الفاتح العربى السلطان سنة ١٧١٦م » ..!! مع أن مدينة « الرملة » فلسطينية منذ أن أسسها الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك الذى تولى الخلافة الإسلامية منذ عام ٧١٥ حتى ٧١٧م ، وأنها - الرملة - لم تقع تحت الحكم اليهودى إلا منذ احتلالها فى الحادى عشر من ابريل ١٩٤٧ (٢٠)

أما « دائرة المعارف السوفيتية » فشأنها شأن الموسوعة البريطانية ؛ تقدم الإسلام على أنه (شأنه شأن الأديان

الأخرى ، يلعب دورا رجعيا ، إذ أصبح أداة في أيدي الطبقات المستغلة لكبح الطبقة العاملة روحيا) والقرآن الكريم هو (الكتاب المقدس الأساسى للمسلمين ، ويتألف من مجموعة من المواد الدينية المذهبية والأسطورية والقانونية ، وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب : عثمان) !! أما الرسول ﷺ فهو (مبشر ديني يعتبر مؤسس الإسلام ، يصور في العقيدة الإسلامية على أنه أعظم المرسلين وخاتمهم ، وهو عربى ونشأ فى مكة ، وأبعد ما أمكن الوصول إليه مما كتب عن سيرة محمد كتب فى النصف الثانى من القرن الثامن ؛ كتبه جامع للأساطير نشأ فى المدينة يدعى بن اسحق) !! .

الأمر الغريب هنا أن (دائرة المعارف الإسلامية) الموجودة بين أيدينا ما هى إلا مجموعة معارف المستشرقين وما توصلوا إليه فى مختلف الموضوعات الإسلامية ، وأصبحت تتداول فى العالم كمرجع رئيسى عن الإسلام والمسلمين منذ أن صدرت طبعها الأولى فى أربعة مجلدات وملحق باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ابتداء من سنة ١٩١٣م ، وقد قامت لجنة من الدكتور عبد الحميد يونس وأحمد الشنتناوى و- المرحوم - إبراهيم زكى خورشيد بالبسة فى ترجمتها إلى العربية منذ عام ١٩٤٣ وظهر منها ستة عشر مجلدا ولم تكتمل حتى الآن .. ولا تزال الجهود الإسلامية عازمة - مجرد عزم - على

إصدار موسوعة إسلامية تتضمن مبادئ الإسلام وموقفه من الحياة والمجتمع ، مع أن تاريخ الكتابة العربية مليء بالأعمال الموسوعية المتعددة ؛ منها : « معجم ديوان العرب » لأبي إبراهيم الفارابي ؛ و « تاج العروس » للزبيدي ، و « معجم الصحاح » للجوهري ، و « لسان العرب » لابن منظور ، و « القاموس المحيط » للفيروز أبادي ، و « أساس البلاغة » للزمخشري ، و « المصباح المنير » للفيومي ، و « محيط المحيط » للبستاني ، و « معجم البلدان » و « معجم الأدباء » لياقوت الحموي ، و « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري ، و « صبح الأعشى في صناعة الإنشاء » للقلقشندي ، بالإضافة إلى الاجتهادات المعاصرة مثل : « موسوعة الأعلام » للزركلي ، و « معجم قبائل العرب » لعمر رضا كحالة ، و « دائرة معارف البستاني » لقواد البستاني .

أما إصدار موسوعة إسلامية فلا يزال الأمر مجرد « نية » حسنة نأمل أن تعمل على تنفيذها الهيئات الإسلامية مثل « رابطة العالم الإسلامي » و « رابطة الجامعات الإسلامية » على أن تضم خبراء من أنحاء العالم الإسلامي يقدمون المعلومة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى الآن ..

ب - التعليم المدني وزحزحة التعليم الدينى :

تنفيذا لمخططات الغرب فى الاستحواذ على العالم الإسلامى بغير مواجهة عسكرية ، تعددت الوسائل التغريبية التى تهدم وتبنى فى وقت واحد ، فهى تعمل على إضعاف الصورة الإسلامية تمهيدا لمحوها تماما من نفوس أصحابها ، وفى الوقت نفسه تقدم الغرب على أنه البديل للحاق بركب التقدم والحضارة ..!

ويعتبر سلاح التعليم الموجه من أخطر الأسلحة الاستعمارية لتنفيذ مخططات التغريب فى العالم الإسلامى ، فقد أنشأ المستعمرون العديد من المدارس والجامعات التنصيرية فى البلاد الإسلامية والعربية التى أخضعوها لهم ، ووجهوا نظام التعليم فيها بما يتخلم أغراضهم التبشيرية والسياسية والاقتصادية ، كما عملوا على زحزحة التعليم الدينى لينحصر فى نطاق الأزهر الشريف وغيره من الجامعات الإسلامية وتوجيه التهم وإطلاق الشائعات حول تخلف هذا الجامع العريق - الأزهر - لينفض الناس من حوله ، وفى الوقت نفسه دعم نظام التعليم العلم على أساس علمانى لا يفرق بين دينى ولا دينى ، كى يستمر تمزيق الأمة الإسلامية ، وتجد الأفكار الهدامة مجالا خصبا فى عقول لم تتشرب أصول الإسلام من علمائه ..

وإذا كان سلاح التعليم والمدارس التبشيرية من أخطر الوسائل الاستعمارية لمحاولة تغريب المسلمين عن دينهم ، إلا أن هذا السلاح يعتبر من أحدث الأسلحة استخداما ، إذ قام على جهود المستشرقين والمؤلفين الغربيين وبعد أن مهدت له صحافة المستعمر أو الصحف الموالية له في الدول الإسلامية الطريق ، خاصة وأن أغلب الصحف في ديار المسلمين قد أنشأها في البداية - مسيحيون هاجروا إلى تلك البلاد من الشام ..

وقد سارت حركة التعليم الموالية لحركات التغريب والاستشراق في اتجاهين :

الاتجاه الأول :

إنشاء المدارس والجامعات التابعة . رأسا للمؤسسات الاستشرافية والإرساليات التنصيرية ، فظهرت المؤسسات التعليمية الأجنبية في الدول العربية كالمدارس والكليات وبدأت تقبل أبناء المسلمين جنبا إلى جنب من أبناء المسيحيين فكان أن تأسست عام ١٨٥٥ جمعية الشبان المسيحيين « لإدخال ملكوت المسيح بين الشبان وتلاميذ المدارس » ثم أخذ الاتجاه إلى تعزيز التعليم العالي فظهرت عدة مؤسسات تعليمية بدأت في لبنان بـ « الجامعة الأمريكية » في بيروت سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م ، وبعدها جامعة القديس يوسف المعروفة الآن بـ (الجامعة اليسوعية) في بيروت أيضا .. ومثل هذه الجامعات

هدفها الرئيسى « تعلم الحقائق الكبرى التى فى التوراة وأن تكون مركزا للنور المسيحى وللتأثير المسيحى ، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به » (٢٢) ..

هكذا !!.. وفى ديار إسلامية !! ونحن فى غفلة ، بل ساهمنا فى إشاعة صورة براقعة عن مثل هذه الجامعات فى بلادنا ..
أليست الجامعة الأمريكية هى المثال والأمل لأغلب شبابنا الإسلامى !!

قد بدأت المؤسسات التعليمية التنصيرية تعم الدول الإسلامية ، ففي مصر تأسس عام ١٨٨٢م - بالتزامن مع الاحتلال الإنجليزى للبلاد - معهد علمى للتبشير تابع لجمعية تبشير الكنيسة ، وله أربعة فروع : الأول : قسم طبى ؛ والثانى : مدرسة للصبيان ؛ والثالث : للبنات ؛ والرابع : لنشر الإنجيل ، وكانت تصدر عن هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ولهم مكتبة خاصة بهم ، ثم تآقت « جمعية تبشير شمال إفريقيا » التى أسست فى البلاد - مصر - معها عام ١٨٩٢ وركزت أعمالها فى فتح مدارس لتعليم الإنجيل بوجه خاص (٢٣) ، ثم تتابعت المؤسسات التبشيرية حتى قامت مجموعة من المؤسسات الأمريكية المساهمة فى اتحاد الجامعات الأمريكية فيما وراء البحار بواشنطن بإنشاء الجامعة الأمريكية فى مصر عام ١٩١٩ « لإدخال النظم التعليمية ومناهج الفكر

الأمريكي في البلدان الإفريقية والآسيوية وأمريكا
اللاتينية» (٢٤)

الاتجاه الثاني :

محاولة عزل الأزهر الشريف وحصره في نطاق الفتاوى
والوعظ والإرشاد داخل المساجد ، والتقليل من شأنه ، وفي
الوقت نفسه تسليط الضوء على الجامعات المدنية وغزوها من
داخلها وربطها بالاتجاه الغربي في التفكير ومناهج البحث ليفتن
الأساتذة بالغرب ويتم الترويج لاتجاهاته ترجمة ونقلًا واقتباسًا ،
عن طريق استدعاء أساتذة من يهود المستشرقين والتمكين لهم من
اقتحام أعز معقلنا الفكرية بالجامعة ، ومن هؤلاء « يوسف
شاخت » و « بول كراوس » وغيرهم ممن درّسوا لطلاب
الجامعة المصرية : السامية والعبرية وفقه اللغة وأدبها المقارن
وتاريخ اليهود في جزيرة العرب (٢٥) ، وبث سمومهم تحت ستار
العلمية والبحث والدراسة والمقارنة !!..

غارة مستمرة على الإسلام :

والغارة على العالم الإسلامي ليست تاريخًا فقط ، لكنها
مخططات مستمرة متشابكة تطور أسلحتها حسب مقتضى
الحال ، وتستغل حاجة بعض الدول الإسلامية لتقدم لأهلها
الدواء والرغيف مع الفكر التغريبي ، وقد نجحت هذه

المخططات المحكمة في تخرج من يعتقدون أفكارها بل ويدعون إليها ، فها هي الجامعة الأمريكية في القاهرة ترسل لاتحاد البنوك العاملة في مصر « للتبرع لمساندة دورها واستكمال العجز في ميزانيتها »^(٢٦)!! دون أن تدرى لماذا اتحاد البنوك العاملة في مصر بالتحديد ؟ وما هو دورها في بلادنا حتى تساندها البنوك من أجل ذلك !!؟ ..

.. وإذا كان دعاة العلمية قد نجحوا في التغلغل داخل بعض مؤسساتنا الأكاديمية لنشر دعاواهم العرقية والسياسية والإلحادية ، إلا أن أخطر كتيابين خرجا في إطار هذه المؤسسات التنصيرية هما :

« الثابت والمتحول » للشاعر علي أحمد سعيد (أدونيس)
« Asir: True Land of the Bible » عسير الأرض
الحقيقية للتوراة » للدكتور كمال سليمان الصليبي ..

فهذان الكتابان أخطر ما قدمه الفكر المناوئ للإسلام والمسلمين .. فالكتاب الأول (الثابت والمتحول) قدمه مؤلفه إلى معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف ببيروت لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي تحت إشراف الأب نويّا اليسوعي ، وقاد فيه حملة ضارية ضد العرب كجنس وعنصر وشعب ، وأنهم - العرب - شعب محاصر بين فعلين هما : (يرث ، ويقتبس) ، ويتواطأ أدونيس مع أستاذه اليسوعي

على قتل كل قيمة في هذا التراث العربى ماعدا الخروج عن
المألوف والسائد ، حتى لو كان هذا الخروج هو الإلحاد ؛
فالإلحاد عنده « هو أول شكل للحدثاء » !!

فهذا الكتاب الخطير بأجزائه الثلاثة ينظر للإسلام كدين
ثابت ونظام جامد ، أما الإبداع - فى رأيه - فهو كل خروج
عن الثابت - الإسلام - والتقاليد والأخلاق !!..

وإذا كان أدونيس قد حقق أحلام أعداء الإسلام بكتابه
الذى يمجّد الانحرافات عن الإسلام والذى أهله إلى أستاذه
اليسوعى ؛ فإن الدكتور الصليبي - رئيس قسم التاريخ فى
الجامعة الأمريكية فى لبنان - قد وصل إلى ما لم يحلم به أعداء
الإسلام والمسلمين ؛ فقد زعم فى كتابه (عسير الأرض
الحقيقية للتوراة) أنه توصل إلى نظرية جديدة تقول (٢٧) « ان
التوراة التى أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى عليه
السلام فى أثناء إقامته فى جبل طور سيناء - كما يذكر القرآن
الكريم - إنما نزلت فى منطقة عسير بالحجاز ، وأن نبي الله
سليمان عليه السلام بنى هيكله فى ذات المنطقة وليس فى بيت
المقدس » (٢٨) كما يذكر القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ فلما أتاها نودى يا موسى * إني أنا ربك فاخلع نعليك
إنك بالواد المقدس طوى ﴾

[طه / ١٢]

.. أى أنه لا يكفي لتصديق أن التوراة نزلت على النبي موسى في الوادى المقدس طوى أن تكون القصة مذكورة في القرآن الكريم ، وهذا ما يردده المستشرقون ؛ لكن الصليبي زاد على ذلك أن التوراة إنما نزلت في المملكة العربية السعودية التى تضم الكعبة المشرفة قبلة المسلمين فى العالم ، أليست هذه فجينة جديدة أخطر من فكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ومحاولات الغرب المتكررة لهدم الإسلام !!؟

.. الغريب جدا فى الأمر أن جامعاتنا الإسلامية على كثرتها لم تقدم الرد العلمى حول هذه الخزعبلات التى تنتشر فى طبقات متعددة ويأخذ عنها العالم كأنها حقائق مؤكدة !!..

٣ - الصحافة

الحملات المستمرة التي تشنها الصحافة العالمية ضد العالم الإسلامي هذه الأيام ليست وليدة اليوم ، ولكنها امتداد لتاريخ طويل من محاولات التشويه التي دأب بها الغرب على طمس الصورة المضيفة للدين الإسلامي وللمسلمين ، رغم ما تتفرع به هذه الصحافة من وقائع أسمتها بـ « الانفجار الإسلامي » وردت إليها تطورات وأحداث الفلبين وإيران وفلسطين وغيرها ..

فقد تعرض العالم الإسلامي منذ زمن - ولا يزال - لغارات إعلامية مستمرة تتمثل في تدفق إعلامي موجه عبر وسائل اتصالية متعددة ، منها :

* الوسائل المقروءة: الصحف والمجلات والكتب والنشرات .

* الوسائل السمعية : الراديو والندوات والمحاضرات والمناقشات والشائعات .

* الوسائل البصرية : من لوحات فنية وحفلات استعراضية .

* الوسائل السمعية - البصرية : التلفزيون والمسرح والسينما .

* الوسائل الشخصية : المقابلات والمحادثات .

وأصبحت المواد الإعلامية المتدفقة على عالمنا الإسلامى بتكراراتها الملحة عبر وسائل الاتصال المختلفة ؛ خاصة التلفزيون والصحافة ؛ تمثل الجزء الأكبر من محتوى هذه الوسائل ، رغم أن مضمونها - غالبا - يتناقض مع معتقداتنا ويقدم أنماطا سلوكية تختلف كل الاختلاف مع قيمنا وتقاليدينا ومفاهيمنا وثقافتنا الإسلامية ، ولم يعد خافيا على أحد أن هذا التدفق الاتصالي ؛ الناتج عن عمليات معقدة من الاختيار المتعمد وغير الموضوعى ؛ إنما يقصد به أساسا التوجيه والانقياد للغرب والتبعية له ، والكيد للإسلام والتيل منه ..

وقد ساعدت الدول الإسلامية فى ذلك دون دراية منها ، إذ قنعت بأن تبقى هدفا لسموم إعلامية تخدم أهواء ومصالح سياسية وعواطف وانحيازات دينية ، وتركت ميدان الإعلام الدولى لاختكارات محددة لا تجد من يقوم مسيرتها وينافسها بتقديم الخبر الصادق والرأى غير المتحيز القائم على الصدق والخبرة والبرهان والأمانة والعفة والخيرية والكمال كما يأمرنا ديننا الحنيف ، مع أن الإعلام الإسلامى تكليف وفريضة على كل مسلم بالغ عاقل ، ذكر أو أنثى ، بشرط أن يقوم على علم وبصيرة ، كما فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[يوسف/ الآية ١٠٨]

وقوله تعالى :

﴿ نَبِئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

[الأنعام/ الآية ١٤٣]

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا يَنْبِغُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[فاطر/ الآية ١٤]

* الهضم من الداخل :

وإذا كان الغرب بأسلحته المختلفة قد ناصب الشرق العداء منذ القدم ، خاصة الشرق الإسلامي ، باعتباره نقيضه ومكمن الخطر على مصالحه ، فإن اختراع الطباعة وانتشار الصحافة قد أعطى الغرب سلاحا جديدا أكثر خطورة وفاعلية في تحقيق خططه والوصول إلى مآربه ، فقد تم استخدام أول مطبعة جليها « بونابرتة » معه إلى الشرق أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨ في إصدار منشورات تتخذ من الإسلام وسيلة للتقرب

للمصريين ، وأصدر الغازي الفرنسي إعلانه في الثاني من يوليو (تموز) عام ١٧٩٨ لإقناع أهالي البلاد بـ « أننا نحن المسلمون الحقيقيون » في الوقت الذي كان يخوض فيه حروبه ضد ثلاث جهات : إنجلترا ، والباب العالي (دولة الخلافة العثمانية) ، والشرق المسلم^(٢٨) .

ومع تقدم الصحافة وانتشارها سخر الغرب هذا السلاح لخدمة أفكاره التنصيرية من ترويج لأفكار القوميات المختلفة من تركية وفارسية ، وفصل الدين عن الدولة ، وهدم الدين الإسلامي بالقضاء على لغته العربية والدعوة إلى العامة وتغذية اللهجات المحلية ، ونشر الإلحاد لإبعاد المسلمين عن الدين الذي يوحدهم ويجعلهم أمة واحدة ..

” وإذا كانت الصحافة العالمية قد كانت - ولا تزال - سلاح المستعمر وأداته لتحقيق أغراضه ؛ فإن الصحافة العربية قد فعلت الدور ذاته خاصة في بدايتها على أيد الشوام القادمين لمصر ..

ويمثل المهاجرون الشوام في النصف الثاني من القرن الماضي ركائز الصحافة صنيعة الاستعمار والتنصير والغزو الفكري ، فقد كان في طليعة هؤلاء : فارس نمر وشبلي شميل وفرج أنطون واسكندر مكاريس وجرجي زيدان وغيرهم ، وكان من ثمار هذه الهجرة (المقتطف) التي أنشأها عام ١٨٦٨ فارس نمر ويعقوب صروف ؛ وأصبحت علاقتهما بالاحتلين الإنجليز .

فيما بعد - قوية (خاصة بعد زواج ابنة فارس عمر من المستر سمارة مستشار السفارة الانجليزية في القاهرة) ، ثم توالى الصحف والمجلات : (المقطم) و (الهلال) ، و (الأهرام) وغيرها ، من صحافة تدعو إلى تقليد أوروبا في علمائيتها وعزل الدين عن الحياة ..

* تبشير .. تحت راية الأزهر :

ولم يُكتفِ دعاة التغريب والعلمانية بنشر أفكارهم عن طريق الصحافة العامة ، بل استخدموا الصحافة المتخصصة في إشاعة سمومهم ، فقد أنشأ شبل شميل - وهو مسيحي درس الطب في الكلية البروتستانتية السورية - أنشأ مجلة طبية شهرية عام ١٨٨٦ أسماها (الشفاء) وظل يمارس مهنة الطب في إحدى المدن المصرية (طنطا) عدة سنوات قبل أن يستقر في القاهرة ويصبح أكثر كتاب عصره جرأة في الإعلان عن أفكاره التغريبية المخالفة لما يعتقده أغلب الناس (٢٩) .

ثم افتضحت هذه النوايا عندما خرجت مجلة باسم (جريدة الأزهر) لمهندس رى الإنجليزي اسمه « ويليام ويلكوكس » ، وما كانت المجلة من الأزهر في شيء ولا معبرة عنه ، لكنها امتداد للمخطط التنصيري التغريبى ، وسرعان ما كشفت المجلة عن وجهها ودعت - سافرة - إلى إشاعة اللهجة العامية بدلا من اللغة العربية .. !!

وقد كانت هذه المجلة - جريدة الأزهر - عند صدورها تحمل اسم (الصحة) وصدر أول أعدادها في الأول من أغسطس ١٨٨٧م (ذو القعدة ١٣٠٤هـ) ، لمنشئها حسن بك رفقى المفتش بمصالح الصحة العمومية ، وإبراهيم بك مصطفى المدرس بالمدرسة الطبية ، وقد قاما بتغيير اسم المجلة إلى (الأزهر) ابتداء من أكتوبر ١٨٨٩ حتى ديسمبر ١٨٩٢ على أساس أنها مجلة علمية أدبية ، وقد جاء هذا التغيير في الاسم « تمشياً مع طلبات القراء بتنوع المادة وعدم اقتصرها على الموضوعات الطبية » ، و« تيمناً بالجامع العريق - الأزهر - المكان الأول والجامع الذي جمع ضروب وأنواع العلوم » (٣٠) ..

وفي ديسمبر من عام ١٨٩٢ أعلن ويليام ويلكوكس انتقال امتياز مجلة الأزهر إليه منذ بداية العام الجديد - يناير ١٨٩٣ - وطالب المهندسين أن يشاركوا في تحريرها ، ولم يغير اسمها القديم (الأزهر) حتى يبقى الانطباع عنها أنها تنطلق من منطلقات إسلامية ، مع أنه - ويلكوكس - قد أفصح عن أغراضه منذ العدد الأول الذي آلت فيه المجلة إليه ، وبدأ دعوته المتكررة والمُلحّة لهم العربية لغة القرآن الكريم ، وإحلال العامية المصرية محلها .. !! ..

وبدأ يدلل لدعوته التي بدأها بمحاضرة في حفل ثم نشرها بعد ذلك تحت عنوان : « لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى

(السنة السادسة)

دوم سنة ١٨٩٣

(العدد العاشر)

جريدة عليّة أدبية

أسسها حضرة إبراهيم بك مصطفى وحسن بك رفقي

الآزهر

أعطيني الحرية لي أن أعلم وأحكم وأتحدث حسب ما أختاره من اللغة
وأعطيني من الحرية . وإذا كانت كل أرياح المذهب تهدى على وجه الأرض
وكانت الحقيقة موجودة معها لمن العيب أن تقع ظاهرا وباطنا وتخرجها خوفا من
إشهرامها . فلتترك الحق يحارب الكذب فإنه لم ينظر أحد أن الحق انمزم إذا
انفتح له المجال . ومن يجهل من الخلق أن أكبر شئ لله الله هو الحق فإنه
لا يحتاج في تصديده إلى السياسة والحيل بل تلك الأمور هي طرق الدفاع التي
يستعملها الكذاب لإخفاء الحق

ميتون

تصدر أول كل شهر

لشعبا

ولم يملكوا
عبد الأزهرى

(قائمة الاشياء)

سنة واحدة ومن سنة أشهر ومن كل عدد

٧٥ ١٥ ١٠ في القطار المصري وفي الخارج برامق كل واحد عشر واحد

تلاميذ الهند حضانة وتلاميذ ديوان الاشغال أرسل لهم هذه البرقية بجملة ما عند طلبهم

القرارات ترسل باسم أحد الأذهرى بديوان الاشغال ولا بد أن تكون بمضامنة

باسم صاحبها خاصة الأجوة

المصريين الآن » قال فيها إن اللغة العربية و كلامها « مثل الجبال
وفي آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فأرا صغيرا » .

ثم يوصي المصريين قائلا : « إذا جنحتم إلى هذه اللغة
الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم ، وتركتم هذه اللغة الضعيفة
تنجحون كثيرا بسبب أن اللغة التي تتكلمون بها هي قلب
اللغة ، والتي تكتبونها كالملايس لها ، ورغم الإلحاح المتكرر
من ويلكوكس لاستخدام العامية في الكتابة إلا أن دعوته لم
يكتب لها أى نجاح فكان أن توقفت المجلة ، ولكنه لم يتوقف
عن محاولاته وبدأ يترجم الإنجيل إلى اللهجة العامية المصرية ثم
كتب عدة دراسات عن أن مصر والبلاد العربية لا تتحدث
العربية الفصحى وأن السبيل لنجاح هذه الدول هو استخدام
اللهجات المحلية .. ١١

* اتجاهات متعددة :

وإذا كانت دعوة ويلكوكس للقضاء على اللغة العربية لم
تحقق نجاحا ، إلا أنها لم تمت نهائيا ووجدت من يجددها
ويطورها ، فها هو الألماني « ولهم اسبتا » الذى أشرف على
مكتبة الخديوى في مصر بصل لأكثر من ذلك ويدعو
لاستخدام الحروف اللاتينية في الكتابة وكتب كتابا في هذا
الشأن يطالب فيه استخدام العامية في الكتابة ، على أن تكتب
بحروف لاتينية حيث إن العربية الفصحى لا يمكن أن ينمو معها

أدب حقيقى ويتطور ، ولا مانع « أن تبقى اللغة العربية الفصحى لغة الصلاة والطقوس الدينية فقط »^(٣١)!! والهدف من ذلك واضح جدا ويتمثل فى عزل الدين عن أمور الحياة وقصره على العبادات فقط بدلا من أن يكون منهاج حياة وعمل ..

واستمرت الدعوة لإشاعة العامية تتجدد مع مرور السنين ولم تحمد نازها ، والجديد فى الأمر أنها تثار الآن على ألسنة المستشرقين وبعض دعايتها من العرب أنفسهم أمثال سلامة موسى الذى اقترح عام ١٩٣٥ كتابة اللغة العربية بالأبجدية اللاتينية مبررا ذلك بحجتين: (٣٢)

- ١ - إن هذه الأبجدية أكثر سهولة ويسرا .
 - ٢ - إن هذا التغيير سوف يساعد مصر على إتمام عملية تحديثها ، ويشعر المصريين بأنهم جزء من الغرب .
- ولم ينكر سلامة موسى أن دافعه لذلك انتهاؤه لأقلية مسيحية .. !!

كذلك الدكتور لويس عوض والذى دخل هذا المجال منذ صدور ديوانه الأول - والوحيد - (بلوتولاند) عام ١٩٤٧ ، وطالب فى مقدمته « بثورة أدبية هدفها تحطيم لغة السادة وإقرار لغة الشعب العامية أو الدارجة أو المنحطة » وحتى كتابه (فقه اللغة العربية) الذى صدرته الحكومة

المصرية .. ويوسف الخال وسعيد عقل في لبنان ، والدكتورة
فاطمة المرئسي في المغرب .. وغيرهم وغيرهم ..

ويتذرع هؤلاء بحجج ظاهرها الغيرة على العقل العربى
وتجديد اللغة العربية ، وباطنها التخلص من الدين الذى - فى
زعمهم - يقيد الفرد ويمنعه من الانطلاق والتحرر !!

لقد كانت أغلب الصحف بوقا للمستشرقين وتلاميذهم
لهدم اللغة العربية وإشاعة المفتريات ضد الإسلام ، ونشر
المذاهب المادية الإلحادية تحت شعارات : « الحرية » ، هذه
الكلمة التى أصبحت تحمل تفسيرات مختلفة فى إطار : « عمل
مايحيظه القانون » و« الديمقراطية » التى هى « حكم الشعب » ،
بواسطة الشعب ، من أجل الشعب » والتى أسىء فهمها حتى
صارت عازلا سميكا بين الخلق والخالق ، ووجد فيها العلمانيون
سندا قويا للتخلص من الدين^(٣٢) ، ونتج عن هذه الدعاوى
تحول الكثير من المثقفين والمشاهير - خاصة فى بداية هذا القرن
- إلى الانحياز للتحديث على النمط الغربى وحجتهم فى
ذلك : (٣٤)

— الصورة القائمة التى رسمها الغرب للإسلام فى صورته
المملوكية والعثمانية المثقلة بالبدع والخرافات والجمود .
— تبنى النمط الغربى فى التحديث للتسلح بأسلحة الغرب
الحضارى ثم مواجهة الغرب الاستعماري .

والانسياق وراء ذلك إنما هو نسيان للصورة الإسلامية الزاهرة - في عصر المماليك - عندما تم صد جحافل القتر والصليبيين عن اجتياح العالم الإسلامي ، وظلم بين الدولة العثمانية التي تأمرت عليها أوروبا المسيحية حتى أسقطتها ..

إن الصحافة التي تقدمت وازدهرت في حاجة إلى قيم أخلاقية وسلوكية تجعلها تلتزم بمبادئ إعلامية حتى لا تنحاز في تناولها للأبناء ، هذا الانحياز الذي يصل إلى حد الانتقاد والتشويش والتحريف ..

ووجود صحافة إسلامية تعمل في إطار من القيم هو الحل الوحيد حتى لا يبقى المجال كله لوكالات أنباء عالمية وصحافة متعددة وإذاعات دولية تخترق الحواجز وتروج لأفكارها ونشوه صورة المسلمين في الغرب وداخل البلاد الإسلامية نفسها وتوابع صناعة للاتصالات لا نستطيع التحكم في بثها ..

ووكالة أنباء إسلامية هو مقدمة لإعلام متوازن يقوم على الصدق ولا يفرض بالقوة ولا يصطنع العنف ، وإذا كان هذا الحلم قد قداً يتحول إلى حقيقة منذ أن اقترح « مؤتمر العالم الإسلامي » المنعقد في كراتشي عام ١٩٥٠ إنشاء وكالة أنباء دولية للإسلام ، ثم إقرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في جدة (في فبراير ١٩٧٤) لدستور الوكالة وأهدافها ، إلا أن هذه الوكالة الناشئة في حاجة إلى دفعة دعم

قوية تجعلها قادرة على الصمود في وجه التكتل الإعلامي الدولي الذي لا ينشر إلا ما يتناسب ومصالح الدول الكبرى ، في - الوكالة الإسلامية (ايتا) - في حاجة إلى دعم مالي وفني وخبرات وتقنية اتصالات لتستطيع تأدية الدور المأمول منها ، فلا يعقل أن يقنع المسلمون الآن بكونهم مجرد مستقبلين لما تلتقطه أجهزة اللاسلكي وقوافل الطائرات التي تستأجرها شبكات الإذاعات والصحف العالمية لتغطية حرب الخليج - على سبيل المثال - وتترك المجال لها لتربط كل عنف ودم واضطراب ومصادمات الإسلام ، مع أن القرآن الكريم - دستور الإسلام - لم يذكر الغلظة والشدة إلا في موضعين : (٣٥) .

١ - في قلب المعركة ومواجهة الأعداء ، في قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾

[التوبة / ١٢٣]

٢ - في تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقها ، حيث لا مجال للرحمة في إقامة حدود الله ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

[النور / ٢]

فالإعلام في الإسلام - وبالتالي قيام وسائل اتصال إسلامية
- فريضة وتكليف ، وعلينا أن نقف في وجه من يحاولون
تشويه صورتنا الإسلامية ..

٤ - التأليف القصصى العالمى ودوره فى تشويه صورة المسلمين

مع أن الإسلام فى نظره للعلاقات الدولية لا يعترف بانقسام العالم إلى كيانات سياسية لكل منها نطاقها القانونى فى العيش ، بل يهدف إلى توحيد بني البشر فى ظل نظام قانونى واحد هو الشريعة الإسلامية حيث التوحيد والتشريع السماوى الذى لا يظلم أحداً ، والمسئولية وإشاعة قيم الخير والحق والجمال والحرية وغيرها ، إلا أن محاولات الغرب المستمرة لهدم الدين الإسلامى وقهر المسلمين لم تترك وسيلة من الوسائل إلا طوعتها لهذا الهدف .

فقد تم استخدام نسبة كبيرة من التأليف الأدبى لكبار كتاب الغرب كأحدى وسائل التنصير لإعطاء صورة مشوهة عن الواقع الإسلامى والشخصية المسلمة ، ورسم هذا النوع من الأدب نموذجاً للشخصية المسلمة يعتمد فيه على ما ذكره الرحالة والمستكشفون ، بالإضافة إلى رؤى وخيالات الذين اصطدموا بالشرق خلال الحروب الصليبية أو عرفوا - على البعد - قوة الإسلام الذاتية وتمسك أتباعه به .

وفي هذا الاتجاه شاعت روايات متعددة أخذت اهتماما كبيرا من النقاد العرب ، واشتهر مؤلفوها بدرجة كبيرة جدا وأصبحت أعمالهم هي المثال الذي يحتذى لمن يريد أن يسلك اتجاه التأليف أو حتى يرغب في القراءة ، وكل كلمة يرددها هؤلاء تدخل دوائر المناقشة والتنظير والجدل باعتبار أصحابها يتمتعون بجاذبية شخصية ناتجة عن شهرة إبداعاتهم ، ووقفت الهالة التي يتمتع بها هؤلاء أمام ما يمكن أن يتطرق إليه البحث في أعمالهم من انحياز لثقافتهم الغربية وتفضيلها على الثقافات الأخرى ، وعنصريتهم الواضحة وعدائهم الشديد وغير المبرر للشخصية الإسلامية والعربية بشكل خاص .

فقد ظهرت عشرات الدراسات - على سبيل المثال - عن تأثير الإسلام في « الكوميديا الإلهية » لدانتى دون أن تشير واحدة منها إلى موقف مؤلفها - دانتى - من الإسلام ومن نبينا محمد ﷺ ، فشخصية دانتى وشهرة « الكوميديا » وقفا حاجز صد بهدف حجب تعصب المؤلف لمسيحيته ورميه الإسلام ورسوله وأعلامه بالكذب والخداع والتضليل ، فدانتى اليجيرى (١٢٦٥ - ١٣٢١م) قد أوجز الصورة الشائعة عن عصره وكل نواحي مسيحية القرون الوسطى في « الكوميديا » التي كتبها بأسلوب شعري في ثلاثة أجزاء : الجحيم والمطهر ، والفردوس .. وصوّر الجحيم على هيئة حفرة عميقة مخروطية الشكل ؛ تنقسم إلى تسع مناطق خصصت كل

واحدة منها لإحدى الخطايا ، وقد وضع دانتى النبى ﷺ وعلى
بن ألى طالب فى قاع الجحيم ، حيث يتم التمثيل بجسديهما نظرا
لما بذراه هما وأتباعهما من انشقاق فى جسد الكنيسة ، ثم
يصف المؤلف على مدى صفحات ما يحل بالنبى - الكريم -
من صنوف العذاب على نحو متكرر لايتهى .. وعندما تتم
ترجمة هذا العمل إلى اللغة العربية يكتفى المترجم بحذف هذه
المزاعم والمفتريات بدلا من ترجمتها والرد عليها وكشف
التعصب الأعمى من جانب دانتى لمسيحيته ضد الإسلام ..

ونلاحظ أن دانتى عندما وضع القائد المسلم صلاح الدين
الأيوبي فى مكان أسماء الشفا Limbo « مخصص لأرواح
الأطفال الذين يتوفاهم الله قبل أن يعملوا » فإنما كان متأثرا
بالإعجاب الشديد والواسع الانتشار بين الغربيين أنفسهم عن
هذا القائد الذى يشن الحرب بإنسانية وقروسية ، رغم قلة من
بادلوه هذه المواقف فى قلب المعارك^(٣٦) هذا الإعجاب الذى
ارتكز إلى تحرير مخلق يقول إن صلاح الدين الأيوبي يرجع إلى
أصول أوروبية ، لأن فارسا من هذا الطراز الرفيع يجب
بالضرورة أن يصبح منتما إلى الأسرة المسيحية ، ووصل الأمر
بالزعم أن البطل المسلم أمه هى الكونتيسة « بوتشو » التى
تخطمت سفينتها على الساحل المصرى ، وأنه اعتنق المسيحية
وهو على فراش الموت !!

وتنوعت الكتابات الأدبية من شعر وقصة ومسرح ، ودار عدد كبير منها بشكل مباشر حول الإسلام والنبي ﷺ والمسلمين ، وقد جاءت هذه الكتابات وفي أذهان مؤلفيها المحددات الدينية والثقافية التي شاعت في الغرب عن الإسلام ، فها هو « جون لدجيت » - ١٣٧٠-١٤٥١م - يحشر الأساطير التي كانت سائدة في زمانه عن رسولنا الكريم ، ويضمنها قصيدته التي أسماها : « عن محمد النبي المزيف وكيف أكلته الخنازير وهو سكران » ! ، وكتب « كرسنوفر مارلو » مسرحية (تيمور لنك الكبير) عام ١٥٨٧ واستقبلها الغرب بعاطفة شعبية سائدة باعتبارها تقدم البطل الذي يقدم العون غير المباشر للمسيحيين بتغلبه على الأتراك ، ومسرحية جون درايدن (دوت سبامتيان) عام ١٦٩١ التي تحسم الصراع لصالح المسيحية وارتداد أبطالها إلى دينهم الأصلي : المسيحية !!..

أما في القرن الثامن عشر فقد ظهر نوع جديد من الروايات يشيع فيها أن الشرق - والبدائي بشكل عام - تتحسن شخصيته وعاداته بالاتصال بالأوروبيين ، وكان هذا الاتجاه - ولا يزال - معضدا للغزو الاستعماري لكثير من دول العالم^(٣٧) ، فباحتلال أجزاء متعددة من الدول العربية تعددت القصص ومؤلفات المغامرين والمستكشفين التي تصف جهل الشرقيين وإرجاع ذلك إلى الدين الإسلامي ، وترجمت

حكايات أسطورية عن (الشاطر حسن) و (الشاطر محمود والجنّة) ، و (ألف ليلة وليلة) لتصوير الشرق المسلم على أنه يعيش في وهم ويؤمن بالخرافات ويكره العمل كما يذكر لورانس في كتابه (ثورة في الصحراء) الذي ضمنه مشاهداته ورؤاه لبعض البلاد العربية (٣٨)

خسداع فنى :

ومع تقدم الطباعة وقنون النشر عملت المؤسسات الأدبية العالمية - وبإصرار - على ترشيح أعمال معينة للشهرة والذيعوم تجد قيمة الغرب وتخط من قيم الآخرين ، ففي رواية (بواية مندليوم) للكاتبة الانجليزية إيريس ميردوخ نجد المؤلفة تلصق بالعرب الرذائل التى يدينها المجتمع الغربى من كذب وخسداع وخيانة وغيرها (٣٩) ..

ويصل التعصب الدينى مداه فى أعمال الكاتب اليونانى كازانتزاكيس (٨ ديسمبر ١٨٨٥م / ١٨ أكتوبر ١٩٥٧) حيث تعج أعماله المتعددة : (المسيح يصلب من جديد) و (الكابتن ميخائيلسى) وغيرها بكراهية شديدة للأتراك وللإسلام بشكل عام ، فهذه الأعمال امتداد للصورة المشوهة التى يبثها الغرب عبر الوسائل المتعددة عن الشرق المسلم كجزء مناقض له يجب تلوينه ..

ولا يخرج كازانتراكيسى فى إبداعاته عن تصويره صراعا بين
 المسيحية فوق جبل آتوس - حيث اعتزل هر فى بداية حياته
 عامين فى دير للرهبان - وبين المسلمين الأتراك « الغزاة »
 كما يقول ، فمنذ أول سطور روايته (المسيح يصلب من
 جديد)^(٤٠) يرسم المؤلف صورة غير منطقية للعمدة المسلم
 حاكم قرية « ليكو فريس » وحوله حرسه الخاص ، وعن يساره
 تربع غلام تركى وسيم فى خديه خمازتان ، يمد يده بين الحين
 والحين ليشعل النارجيلة أو يملأ كأس العرق ، ولا تفكير لهذا
 الحاكم التركى المسلم إلا فى الخبز واللحم إذا جاع ، وفى العرق
 إذا عطش ، وفى السوط ليلهب أعجاز الرعايا إن غضب ،
 وعند اكتشافه فقد خلق الله له أغاني : آمان ، آمان ، أما إن
 شاء أن ينسى أحزان الدنيا وهمومها فقد خلق له الله غلامه
 « يوسفاكى »^(٤١) !!

وهكذا فى سرد فنى براق بخدع يث كازانتراكيس سمومه
 وأحقاده ضد المسلمين الأتراك فى صورة « الأغا مسلوب اللب
 الذى لا هم له فى الدنيا إلا الغلام الجميل وهو يسحب اللبانة
 من فمه ويلصقها على ركبته العارية »^(٤٢) ، وعندما يجد الأغا
 غلامه مقتولا تكون الكارثة ويلوح بمسدسه ويطلق النار على
 كل ما تبصره عينه ، ويحطم كل ما تصل إليه يده ، ثم يلقي
 بنفسه فوق جثة يوسفاكى - غلامه - وينخرط فى نواح
 وعويل «^(٤٣) !! .. ولكن ما يكاد نهار اليوم التالى يتتصف

حتى يرى أهل القرية الأغا عائدا وخلفه غلام تركي جديد
اسمه براهيماكى ممتطيا صهوة مُهر كستنائى ، ثم يسلمه إلى يد
- شيخ - تركي من أصدقائه القدامى ليعلمه بعض
الحيل « (٤٤) !!

وحول الموضوع نفسه - تشويه صورة الإسلام والمسلمين
- تدور رواية كازانتراكيس (الحرية والموت) (٤٥) ، ولا يتغير
إلا أسماء أبطال العمال ، لكن الرموز واحدة والهدف واحد
أيضا ، وهو محاولة تدمير صورة الشخصية المسلمة والتيل منها
وتشويهها ، حيث يرسم صورة لـ « نورى بك » العمدة
المسلم لقرية « ميجالو كاسترو » لا تختلف كثيرا عن صورة
عمدة القرية الأخرى ، فهو يقدم زوجته الشركسية لترفص
أمام ضيفه اليونانى ، ويرتكب الموبقات كلها ..

ثم يعرج المؤلف ليدس سموما ضد النبى ﷺ على لسان
الحاكم المسلم الذى يداعب زوجته قائلا : « فى صحبتك
يا أمينة ، هناك ثلاثة أشياء قال لى المؤذن إن الرسول عليه
السلام يحبها : الرائحة الطيبة ، والمرأة ، والغناء » (٤٦) !! ..
وعيب هذا الدس والتشويه المتعمد لصورة نبينا الكريم
ونخطورته أنه يقدم فى صورة عمل فنى دون مباشرة ، فبعد
مئات الصفحات وآلاف الجمل الأدبية الأخاذة لا تخرج من
الرواية إلا بصورة مشوهة للمسلم ، وفى المقابل يقدم المؤلف
صورة مخالفة تماما للبطل اليونانى ميخائيلس « الجدير بلقب

(الخنزير البري) لكثرة ما يتصف به من ثورات الغضب «
والذى « اقسام ألا يخلق لحيته حتى تتحرر كريت من الأتراك «
فهو من شدة حقه على المسلمين الأتراك يغيظهم بالغناء في
وجوههم « الموسكوف - أى الروس - قادمون «^(٤٧) حيث
إن الإلحاد واللا دينيين أفضل عنده من الإسلام ، ويشجع أهله
على البقاء في حداد حتى يزول الاحتلال التركى من كريت
ومن اليونان ومن أوروبا كلها ..

وتستعرض الرواية بطريقة غير مباشرة ثورات كريت ضد
الأتراك أعوام ١٨٥٤ و ١٨٦٦ و ١٨٧٨ حتى ينهها المؤلف
لصالح المسيحية برصاصة يطلقها البطل الكريتي على مؤذن
القرية العجوز لتخترق منه ثقاة آدم وتنبثق الدماء ويهوى
المؤذن بعمامته الخضراء إلى الأرض^(٤٨) .. والرمز لا يحتاج هنا
إلى توضيح : فالمؤذن هو - الاحتلال - التركى كما يراه
المؤلف ، والأتراك لا بد سيتم إبعادهم عن أوروبا كما تقول
كلماته بنصها ..

أليست هذه العنصرية البغيضة - مهما غطتها رتوش فنية أخاذة
وساحرة - هى أبعد ما تكون عن سمات الأدب الإنسانى الذى
يدعو إلى قيم الخير والحق والجمال والحرية دون تعصب أعمى ؟
قد ينبرى أحد هؤلاء النقاد ويقول : إنها رؤية أدبية .. لكن
إذا كانت هذه الرؤية لا تخرج عن تعمد صارخ لتشويه الإسلام

فليس هذا هو الأدب الإنساني ، وإنما هي عنصرية بغيضة
وكرهية ..

فمن على ذلك ، ذلك السيل من الأعمال الروائية التي تقف
خلفها مؤسسات عالمية بقصد ترسيخ الصورة المشوهة عن
المسلمين ، وفي الوقت نفسه إظهار التعاطف مع المبشرين
المسيحيين وتبصيرهم بالواقع الشرقي ليسهل غزوه وتبعيته
للغرب .. ومن هذه الأعمال رواية (القديس البائس في
يوميا)^(٤٩) للكاتب الكاميروني « مونجو » صاحب (البعثة إلى
كالا) و (الملك لازاروس) وغيرها .. ورواية
(الفراشة)^(٥٠) للفرنسي هنري شارير والتي يقلم فيها تجربة
مسجين اسمه (ديغا) في أحد سجون فرنسا وكفاحه الشاق
للتخلص من سجنه ، لكنه يقحم على العمل ما يشوه صورة
العربي ويحط من قدره ، فهو يصوره على أنه : جشع وقواد
ولص وغير ذلك من صفات وسلوكيات غير سوية لا يقرها
الإسلام بل يعاقب عليها .. فالبطل « ديغا » يحذر زميله في
السجن قائلا : « هناك ثلاثة من العرب يقتفون أثرى
باستمرار ، لهذا السبب لم آت لرؤيتك حتى لا أثير الظنون
بأنني على علاقة معك كلما ذهبت إلى المراحيض ، ففي الليل
أو النهار يأتي واحد منهم - العرب - فأريه جهارا وعلانية -
دون أن أظهر العمد - أنني لا أحمل شيئا ، ومع ذلك لم يكفوا
عن مراقبتي »^(٥١) .

ويكشف المؤلف عن جرائم ترتكب ضد العرب عندما يسأل واحد رفيقيه عن جريرتهما ، فيقولان : « أطعمنا عنزا للنمل آكل اللحوم » ثم يوضحا له ما غمض وهو « أنهما يقصدان بالعنز رجلا عربيا أسمر »^(٥٢) !! والحال نفسه يتكرر في أعمال « ف.س. ينبول » (انعطاف في النهر) و « جون ابدايك » (الانقلاب) وصولا إلى قصص الأقلام العالمية - خاصة الصهيونية - التي لم تخرج عن إطار الدس ضد الإسلام والمسلمين والعرب بصفة خاصة ، فهي تقدم العربى كما في حكايات (ألف ليلة وليلة) تحوطه الشهوات والحكايات المثيرة ، أو في صورة غامضة شريرة متعصبة يهدد بخطف المرأة الغربية على حصانه^(٥٣) !! أو تزوير التاريخ والتبشير بأرض الميعاد منذ أن بدأت موجة الأفلام الصهيونية الدعاية المباشرة عام ١٩١٢ بفيلم أخرجه ترودوف (حياة اليهودى فى أرض الميعاد) ، وفيلم باروخ أجاداى عام ١٩٣٢ باسم (ها هي أرضك) ونشاطها بعد ١٩٦٧ لتقدم الأراضي العربية بأسماء عبرية فنشاهد جبل الشيخ يقدم باسم (أوفرا) ودير البعلج باسم (كارديزون) .. وهكذا ، وليس على العرب - كما تقول هذه الأفلام الدعائية - سوى قبول العيش وفق الأسلوب الإسرائيلى .. !!

إنها موجة محكمة من التأليف الأدبى الذى يغزو عقولنا تحت أساليب براقة خادعة ، وهى فى حقيقتها حلقة من الحلقات

الاستعمارية التي تحاول سلبنا هويتنا الإسلامية وقوتنا الذاتية
النابعة من إيماننا القوي بالله سبحانه وتعالى ..

وعلينا أن نحذر الأساليب الخداعة كلها ، حتى وإن تسترت
في ثياب أدبية براقية ، وأن يكون لنا أدبنا الإسلامي الذي
لا يرتبط بعصر دون عصر ، والذي يركز إلى القيم النابعة من
ديننا القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
ليكون هذا الأدب أحد المقومات الأساسية لبناء حياة كريمة
جديرة بأن تعاش ..

تحرك إعلامي إسلامي .. كيف ؟ :

إذا كانت المسؤولية تمثل روح الفلسفة الإعلامية في
الإسلام ، فإن هذه المسؤولية في صورها المتعددة وحقيقتها
الواحدة^(٥٤) تفرض علينا أن نسلح أنفسنا ببسلاح المعرفة
المستمدة من مبادئ ديننا ووفق معاييرها الثابتة ، فهذه المعرفة
هي التي تؤهلنا لتحمل مسؤولية الإعلام عن الإسلام لتكون
كلمة الله هي العليا ..

إن الإعلام عن الإسلام بعيد كل البعد عن الجدل الدائر
منذ سنوات حول « حق الاتصال » و « التدفق الحر
للمعلومات » مروراً بـ « التدفق الحر المسؤول » إلى « التدفق
الحر المتوازن » ، فالإعلام الإسلامي ليس أداة سياسية في يد

دولة من الدول ، بل يختلف كل الاختلاف عن أية نظرية إعلامية ، فهو تابع من الدين ومعبر عنه ويعمل على ترسيخه في نفوس البشر ، وهو موجه إلى الناس جميعا وليس إلى جنس دون آخر أو طائفة دون أخرى .. وهو إعلام يعرف الله حقه ويؤدي هذا الحق إذ يقوم على إعلاء كلمة الله والاهتداء بشريعته .. ، ونظرا لأن الإعلام الإسلامى يركز إلى أصول ثابتة مستمدة من القرآن الكريم حيث المصدر الأساسى للمعرفة فى الإسلام ، بالإضافة إلى السنة النبوية المطهرة ، فهو لا يتغير فى استراتيجيته حسب هوى أو غرض ، وإن كان يستخدم تكتيكات متعددة تفرضها ظروف الرسالة وجمهورها لتحقيق أهدافه ..

وكما أننا نعلم عن الإسلام فعلينا أيضا أن نحصن المسلمين ضد هذا الانفجار الإعلامى الذى يغمرنا ليلا ونهارا ، ويقتحم حياتنا دون حواجز بقصد تغيير سلوكياتنا وصياغاتها صياغات محددة سلفا كما حددتها أصحاب هذه الرسائل الإعلامية وموجهوها ..

والفالم بالاتصال فى الإعلام الإسلامى يجب أن يعرف مكونات العملية الإعلامية التى هو أحد أطرافها ، فإذا كانت الحقائق الإسلامية لا تتغير من زمن إلى زمن ولا من مجتمع إلى آخر ، إلا أن صياغة هذه الرسالة يجب أن تتناسب مع

الشخص (أو الجمهور) الموجهة إليه لإحداث التأثير المطلوب ..

فالإعلام الإسلامى لا يجب أن يقف عند حدود المسلمين فقط ، لكنه يتعدى ذلك إلى غير المسلمين من أصحاب الكتاب واللا دينيين ، وهذا كله يجعل القائم بالاتصال يجب أن يتطلق من الواقع لتحقيق المثال وليس العكس ..

هذا التنوع والتعدد فى جمهور الإعلام الإسلامى يتطلب استخدام الوسائل الاتصالية المتعددة الموجوده وتطويع محتواها لخدمة الدعوة الإسلامية ، حيث إن لكل وسيلة من تلك الوسائل مميزاتا التى تنفرد بها عن غيرها^(٥٥) ..

فإذا كانت الخطبة المنبرية لاتزال أعمق أثرا فى نفوس مستمعيها وأكثر فعالية من أية أحاديث توجه عبر وسائل الاتصال ، إلا أن جمهورها غير الكبير يجعلنا نبحث عن كيفية الاستخدام الأكثر انتشارا لها - الخطبة - مع المحافظة على قوة تأثيرها ..

وإذا كانت القراءة نشاطا مركزا تركيزا شديدا وله تأثيره الكبير ، لكن قليلا من الناس هم الذين يقرأون ، فذلك يدفعنا للتفكير فى استخدام الوسائل المطبوعة الميسرة والتى تنشر على نطاق كبير ..

أيضا لا يمكن إغفال أهمية الإذاعة (راديو وتليفزيون) التي
تفتح منازلنا لتبث رسائلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة
والتي تتأثر بها - أيضا - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة^(٥٦)
فهذه الوسيلة الخطيرة والمؤثرة - الإذاعة - يجب استغلالها في
نشر مبادئ الإسلام والتعريف به وموقفه من القضايا الحياتية
المعاصرة حتى يتبصر الإنسان بما يجب أن يقوم به لينال رضا
ربه ولتساعده في التعامل مع بيئته والاستجابة لمطالباتها
والاستفادة من خيراتها وتجنب مخاطرها ..

الصحافة أيضا كجهاز خطير مؤثر يجب أن تتناول ما يهم
الناس ويتصل بحياتهم في مجالات الحياة كافة وفق تصور
إسلامي ، والخطر في الأمر أن تبتعد أغلب الصحف التي
تصدر في بلاد إسلامية ويحكمها دستور إسلامي ؛ عن الخط
الإسلامي ويقتصر الأمر على بعض الصحف التي تعلق لافته
تعلن أنها (إسلامية) 11 .. فمادامت هذه الصحف تصدر في
بلاد إسلامية يحكمها دستور إسلامي فعليها الالتزام بمنهج
الإسلام في الإعلام ، هذا المنهج القائم على تبصير المسلمين
بدينهم ودعم القيم الإسلامية والمحافظة عليها والتعاطف مع
قضايا المسلمين وخدمة الحق وتزويده للناس ، والدفاع والرد
على كل ما يضره الأعداء من أكاذيب وشائعات للشوش على
المسلمين ومحاولات النيل منهم ..

لقد تعددت مؤتمرات الدعوة والإعلام الإسلامى ،
وتعددت أجهزة الدعوة فى الدول الإسلامية ، ورغم ذلك
فالقرارات هى القرارات والحال هو نفس الحال : إسلام ثابت
الأصول صالح لكل زمان ومكان ، وإعلام ليس على المستوى
المطلوب لنشر الدين فى بقاع الدنيا .. وهنا ، تؤكد على نقاط
جوهرية فى العمل الإعلامى الإسلامى :

— ضرورة الانطلاق من الواقع لتحقيق الأمثل فى الإعلام
الإسلامى ، أى تكيف الرسالة وصياغتها وفقاً للجمهور
الموجهة إليه بعد دراسة هذا الجمهور ، ومعرفة خصائصه
وثقافته وعاداته .. فالرسالة الموجهة إلى مسلم يعرف أصول
دينه تختلف حتماً عن رسالة ستوجه إلى حديث عهد بالإسلام ،
وهذه بدورها تختلف عن رسالة موجهة إلى أهل الكتاب ،
والأخيرة تختلف بالقطع عن رسالة هدفها التعريف بالإسلام
للا دينيين أو الذين لم يسمعوا عن الإسلام ..

فالمسلم الذى يعرف تعاليم دينه ليس فى حاجة إلى شرح
فرضية الصلاة أو الزكاة أو الحج — عند الاستطاعة — مثلاً ،
كما أنه شديد الثقة بالمصدر وبالإسناد وبالنقل ، بعكس غير
المسلم الذى يهتم معرفة هذا الدين وأركانه وإعمال الدليل
العقلى للتفكير والمقارنة وصولاً إلى الإقناع ..

— الاهتمام بأركان العملية الإعلامية دون إهمال أى جانب
على حساب الآخر ، فكما أننا نهتم بالرسالة الإعلامية وتكييفها

وصياغتها لتلائم الجمهور الموجهة إليه ، فلا بد من الاهتمام أيضا بالجوانب الأخرى ..

* فالجمهور المستهدف من العملية الإعلامية يجب أن تدرسه الجهة القائمة بالاتصال وتعرف خصائصه والمؤثرات التي يمكن أن يستجيب لها وغير ذلك ، وذلك كله يتأتى من الانطلاق من الواقع للوصول إلى الهدف ، هذا الواقع الذى يجعلنا نبحث عن استمالات متعددة لإشراك الجمهور فى العملية وتقبلها ..

* والوسيلة الاتصالية أيضا لها دور هام جدا ، فإذا كان تاريخ نشر الإسلام يؤكد أن هذا الانتشار إنما يرجع فى أساسه للقوة الذاتية لهذا الدين الحنيف ، إلا أن بعض خبراء الاتصال - مارشال ماكلوهان - يعطى أهمية كبرى للوسيلة لدرجة أنه يعتبر أن « الوسيلة هى الرسالة » ، وهذا - وإن كان لا ينطبق على حالة انتشار الإسلام - إلا أنه يصدق بدرجة كبيرة وسط تعدد قنوات الاتصال وتعدد الرسائل الاتصالية والإغراق بالمعلومات ..

* رجل الإعلام الإسلامى الذى أثبتت الدراسات يتمتع بالثقة فى أذهان الجمهور (المستهدف وغير المستهدف) يجب أن يكون قلوة فى إيمانه بدينه وبرسالته سواء إعلانا بالقول أو سلوكا بالعمل ، هذا إلى جانب معرفة بالوسيلة والرسالة

والجمهور الذى يخاطبه ، وجرأته فى الحق ، ودأبه ومثابرته فى الوصول إلى قلوب جماهيره ..

— التنسيق بين أجهزة الدعوة والإعلام داخليا وخارجيا
ونبذ الخلافات السياسية أو المذهبية بين بعض الدول الإسلامية ، فعن طريق هذا التنسيق يتم وضع خريطة طويلة وأخرى قصيرة المدى للرد على ما يثيره أعداء الإسلام من مفتريات وأكاذيب بقصد تحويل الناس عن دينهم ؛ وبالتالي سلبهم قوتهم الذاتية المستمدة من هذا الدين .

هذه الخريطة ستغرق بين كيفية توصيل المعلومة إلى المسلم وإلى غير المسلم من الجهلاء بالدين أو الحاقدين الذين يكونون له أشد العداء ..

وهى - الخريطة - ستوحد الجهود بدلا من تشتتها وتجعلها تنبج إلى التعمق بدلا من السطحية ..

.. لقد كرم الله هؤلاء الذين يحملون كلمة الحق لإبلاغها إلى الناس وميزهم وفضلهم ، فى قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ﴾
[فصلت/ الآية ٣٣]

وعلى هؤلاء الدعاة أن يكونوا على مستوى هذه المسؤولية ..

* * *

احالات هامشية :

- (١) أحمد أبوزيد ، « الاستشراق والتبشير » مجلة اقتدار من « عالم الفكر » ، العدد الأول (الكويت ، وزارة الاعلام : ١٩٨٤) ص ٨٠ .
- (٢) أنور الجندي ، تاريخ الصحافة الإسلامية : المنار ، الجزء الأول (القاهرة ، دار عطوة للطباعة : ١٩٨٢) ص ١٦٦ .
- (٣) عباس محمود العقاد ، الإسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله (بيروت ، المكتبة العصرية : ١٩٧٩) ص ٢٤ .
- (٤) توماس . و . ارنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن وآخرون ، الطبعة الثالثة (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية : ١٩٧٠) ص ١٧١ .
- (٥) مصطفى محمد رمضان ، العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزء الأول (القاهرة ، مطبعة الجيلاوي : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ١٣ .
- (٦) أ . ل شاتليه ، الفارقة على العالم الإسلامي ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ، الطبعة الرابعة (القاهرة ، المطبعة السلفية : ١٣٩٨ هـ) ص ٨ .
- (٧) مصطفى محمد رمضان ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .
- (٨) ادوارد سعيد ، الاستشراق ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .
- (٩) زكريا هاشم زكريا ، المستشرقون والإسلام ، سلسلة لجنة التعريف بالإسلام ، الكتاب العشرون (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ص ١٦٧ .
- (١٠) مرعى مذكور ، الإعلام الإسلامي الطباعي ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .
- (١١) شاخت ويوزورث ، تراث الإسلام ، الجزء الأول ، ترجمة محمد زهير السهوري ، سلسلة : عالم المعرفة ، العدد ٨ (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : شعبان ١٣٩٨ هـ / أغسطس ١٩٧٨) ص ٦١ .
- (١٢) ادوارد سعيد ، تغطية الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(١٣) عبدالمعطي محمد يومى ، وأحمد عبدالحمد الشاعر ، الإسلام والتيارات المعاصرة ، الطبعة الأولى (القاهرة ، دار الطباعة الخمدية : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ص ١٤١ .

(١٤) رشا محمود الصباح ، التصورات الأوروبية للإسلام في العصور الوسطى ، مجلة : عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الثالث (الكويت ، وزارة الاعلام : أكتوبر / نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٠) ص ٩٠ .

(١٥) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، الطبعة السادسة عشرة ، (القاهرة ، دار المعارف : ١٩٨١) ص ٢٩ .

(١٦) الثيوزوفية ، منهج استنبطه الأمريكية يلافاتسكى من فلسفات الهند واطلقت عليه دين الحكمة ، واسست له جمعية ترأسها واسست لها فروعاً في دول متعددة في أوروبا ، وتدعو الجمعية الى التطهر والفصل بين الروح وبين التأثير بملابيات الحياة ، ونبت فوارق الجنس واللغة وكل مايعوق الاخاء الانسانى .

(١٦) أ . ل شاتليه ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(١٧) محمد الغزال ، مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة : الطبعة الرابعة (القاهرة ، دار الكتب الحديثة : ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦) ، ص ١٨ .

(١٨) مصطفى عبدالواحد ، الإيمان في القرآن الكريم ، الطبعة الأولى (القاهرة ، دار الصحوة : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م) ص ٢٢٥ .

(١٩) محمد توفيق حسين ، الإسلام في الكتابات الغربية ، مجلة : المختار من : عالم الفكر ، العدد الأول ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٢٠) مرعى مذكور ، الإلهام الإسلامى الطباعى ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٢١) الحسانى حسن عبدالله ، تلك هى المسألة ، مجلة الثقافة ، العدد التاسع (القاهرة ، اضية العامة للكتاب : يونية ١٩٧٤) ص ٤٩ .. وانظر :

محمود عثمان ، الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه (القاهرة ، مكتبة الانجلو : ١٩٧٧) ص ٢٨ .

(٢٢) مصطفى محمد رمضان ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .

- (٢٣) ١. ل شاتليه ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .
- (٢٤) صحيفة « الجمهورية » المصرية ، ٢٧ يونيو ١٩٨٥ ، ص ٤ .
- (٢٥) عائشة عبدالرحمن ، الإسرائيليات في الغزو الفكري (القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٧٥) ص ١٥٤ .
- (٢٦) صحيفة « الجمهورية » المصرية ، ٢٧ يونيو ١٩٨٥ .
- (٧) فيصل السماك ، رد على نظرية الصليبي : التوراة ليست من الجزيرة العربية ، صحيفة (الشرق الأوسط) أول يناير ١٩٨٥ ، ص ٦ و : حمد الجاسر ، الصليبي لم يفرق بين أسماء المواضع واقتفاء العشائر ، صحيفة (الشرق الأوسط) ٢٢ يناير ١٩٨٥ ، ص ٦ .
- (٢٨) اندوارد سعيد ، الاستشراق ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .
- (٢٩) مصطفى محمد رمضان ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .
- و : على الدين هلال ، التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٨٥) ص ٧١ .
- (٣٠) جريدة (الأزهر) ، أكتوبر ١٨٨٩ ، ص ٦٥ . وانظر : عاطف زهران ، « جريدة الأزهر » ، مجلة الأزهر ، مجلة الأزهر ، السنة السادسة والخمسون ، شعبان ١٤٠٤ هـ / مايو ١٩٨٤ م ، ص ١٢٧٨ .
- (٣١) جهاد فاضل ، « الزيد يذهب هباء وما ينفع الناس يبقى في الأرض » مجلة « الشراع » اللبنانية ، العدد : ٧٠ ، ١٨ تموز ١٩٨٣ ، ص ٥٦ .
- (٣٢) على الدين هلال ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .
- (٣٣) عبدالعظيم المطمعي ، الإسلام في مواجهة الايديولوجيات المعاصرة الطليعة الأولى (القاهرة ، مكتبة وهبة : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧) ، ص ١٦٣ .
- (٣٤) محمد عمارة ، د. محمد حسين هيكل وعودته الجريئة إلى الإسلام « صحيفة (الشعب) المصرية ، ٣ ديسمبر ١٩٨٥ ، ص ٧ .
- (٣٥) يوسف القرضاوي ، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، كتاب الأمة ، العدد الثاني ، الطبعة الأولى (قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية : شوال ١٤٠٢ هـ) ص ٤٨ .

- (٣٦) شاخت ويوزورث ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .
- و : محمد عصفور ، « صورة الإسلام والمسلمين في الأدب الغربي حتى القرن الثامن عشر » ، مجلة المختار من عالم الفكر ، العدد الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .
- (٣٧) أشلى مونتاغو ، البدائية ، ترجمة : محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٥٣ (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : رجب / شعبان ١٤٠٢ هـ - مايو (أيار) ١٩٨٢) ، ص ٢٨٢ .
- Lawrance, *Revolt in the Desert* (New York, George H.Doran Company: 1926) pp. 5-68. (٣٨)
- (٣٩) محمد عناني ، « القيم وعالم اليوم » صحيفة (الأهرام) المصرية ، ٦ نوفمبر ١٩٨٦ .
- (٤٠) نيقوس كازانتزاكيس ، المسيح يصلب من جديد ، ترجمة شوقي جلال ، الطبعة الثانية (القاهرة ، دار المستقبل العربي : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) .
- (٤١) المرجع السابق ، ص ١١
- (٤٢) المرجع السابق ، ص ١٤
- (٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٦
- (٤٤) المرجع السابق ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١
- (٤٥) كازانتزاكيس ، الحرية والموت ، ترجمة سعد زغلول نصار ، سلسلة (النتائج) ، العدد الأول (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٦) .
- (٤٦) المرجع السابق ، ص ٢٠
- (٤٧) المرجع السابق ، ص ٦
- (٤٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٥
- Mongo Beti, *Poor Christ of Bomba*, 4th Ed, (London: 1981). (٤٩)
- (٥٠) هنري شاربير ، الفراشة ، ترجمة تيسير عزلاوي (لبنان ، دار التنوير) .
- (٥١) المرجع السابق : ص ٣٧ .
- (٥٢) المرجع السابق ، ص ١٩٥
- (٥٣) نادية سالم ، صورة العرب والاسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية

- (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٧٨) ص ١٨٢ .
- (٥٤) محمد سيد محمد ، المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، ط ١ (القاهرة الرياض ، مكتبة الخانجي ، دار الرفاعي : ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م) ص ١٧
- (٥٥) Melvin L. De Fleur, Everett E. Dennis, **Understanding Mass Communication** (U.S.A., Houghton Mifflin Company: 1981), p.8.
- (٥٦) G. Cherter, G.R. Garrison, E.E. Willis, **Television and radio**, (٥٦) 5th ed. (U.S.A., Printice - Hall, 1978.) P. 134.

خاتمة

عندما اختار الله الإسلام للبشرية دينا ، فإن هذا الدين القويم قد نظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بمجتمعه كذلك ، فالإسلام دين ودنيا وليس - فقط - مجموعة عبادات تتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت - عند الاستطاعة - بل ينظم أيضا أمور الحياة بالنسبة للفرد وللأمة على السواء .. فالإيمان الذي جاء به الإسلام هو شعور حي متدفق يملأ بالصفاء قلب المسلم ، فيفيض هذا القلب نقاء وروحانية و إخلاصا لله تعالى وللعمل الصالح ..

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
	الفصل الأول -
٩	تدفق إعلامى دولى غير متوازن
١٨	إعلام أم دعاية
٢١	موضوعية الاتصال الإسلامى
٢٥	محاولات متعددة للخروج من الأزمة
	الفصل الثانى
٣٣	المخططات الدولية لتشويه الإسلام
٣٥	مواجهة مستمرة ضد الإسلام
٤١	١ - الاستشراق والتنصير
٤٨	٢ - دوائر المعارف والموسوعات
٦١	٣ - الصحافة
	٤ - التأليف القصصى العالمى ودوره فى
٧٥	تشويه صورة المسلمين
	خاتمة
٩٩	

رقم الإيداع

٨٨/٧٣٢٤

التوقيع الدولي

٦ - ٥٣ - ١٤٣١ - ٩٧٧

يتعرض عالمنا الإسلامي هذه الأيام لموجات متعددة من محاولات التشويه التي يشنها الغرب عبر وسائل اتصالية متعددة من صحافة (جرائد ومجلات) وإذاعات علنية وأخرى سرية، وسينما، وفيديو، وأيضاً - وهذا هو الأخطر - عبر التوايح الصناعية للاتصال حيث أصبحت الثقافة الاليكترونية القادمة من فضاء لا حدود له هي حقيقتها ثقافة وحرية الدول التي تملك التكنولوجيا .. وأصبح هذا التدفق الإعلامي الموجّه، والذي يلاحق المسلم في عقر داره ويتوسل إليه بلغته - وبلهجته اخلية عند الضرورة - أصبح يمثل خطراً كبيراً يجب التنبيه له والوقوف في وجهه بتقديم البديل القائم على الحجة والبرهان ..

فأمتنا الإسلامية ؛ التي كرمها الله بهذا الدين الحنيف ؛ مطالبة بالإعلام عن الإسلام ونشره عن طريق «البلاغ المبين» الذي يعطى القوة والاستبسال وتحمل الصعاب كافة من أجل نشر الدين ..

فالأمة الإسلامية عندما تمتلك الصوت الاعلامي القادر على مخاطبة العالم في صدق وأمانة لخير هذا العالم ؛ ستكون - الأمة الإسلامية - قدرة وقتذاك على الإعلام عن دين الله وتوضيح موقف الإسلام من المواقف الحياتية كافة ، وفي الجانب الآخر ستدحض التشويه المتعمد لصورة المسلم والتي تشيعها الوسائل الاتصالية العالمية ، وتصحيح الصورة لتظهر كما رسمها الإسلام : عدل ؛ وصدق ؛ وأمانة ؛ ووفاء ؛ وإنسانية ؛ وفي الوقت ذاته قوة في الحق ، حتى ترتفع راية « لا إله إلا الله ؛ محمداً رسول الله » .

فالكلمة في الإسلام مسئولية كبرى ..

وعلى الله قصد السبيل ..

idm



0687859

C
29
295
2